تاريخ الوطن العربي الحديث- The History of the modern Arab World

المرحلة الثانية- Second phase

قسم التاريخ- Department of History

المحاضرة الاولى ٢٠٢١-٢٠٢٢

أوضاع الوطن العربي قبل السيطرة العثمانية

ظهرت علامات الضعف على الخلافة الاسلامية في العصر العباسي قبل ظهور خطر التتر والمغول ، كان سبب الضعف هو سيطرت العناصر الفارسية على منصب الوزارة العباسية وظهور خلاف بين العرب والفرس ادى الى دخول العناصر التركية في سلطة بغداد آنذاك.

ادى الضعف والانحلال في الخلافة العباسية الى سقوطها بيد المغول سنة ١٢٥٨م، فاجتاحوا بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية ومركز العلوم والمعرفة في العالم الاسلامي فعاثوا فيها الفساد وقتلوا اعداد من علمائها المسلمين ودمروا مبانيها وذبحوا اعداد من الرجال والنساء والاطفال.

كان الوطن العربي اعقاب سقوط الخلافة العباسية يتألف من جزئيين هما: الجزء الاول المشرق العربي ويظم بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق وأقطار الخليج العربي.

الجزء الثاني يظم ليبيا و تونس والجزائر ومراكش (المغرب).

عانى المشرق العربي كثيراً من التمزق السياسي والتدهور الاقتصادي إذ كان المماليك يحكمون الجزء الغربي من المشرق العربي بعد ان انتزعوها من الأيوبيين في منتصف القرن الثالث عشر.

لم يتمكن المماليك من فرض سيطرتهم على ادارة البلاد بسبب الفرقة والتشرذم فلم يتحكموا بقوله تعالى(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا....)سورة الانفال، الآية ٤٦، بل كانوا في نزاع مستمر وخلاف دائم، فكان المسلمون بعد فترات الهدنة في الحروب مع التتار كانوا يغيرون على بعضهم البعض ويأسرون بعضهم ويقتلون بعضهم مما سهل لجيوش المغول لن يتغلبوا عليهم.

لقد تدهورت الاوضاع الاقتصادية المصرية بعد الاستكشافات الجغرافية التي قام بها الرحالة البرتقالي فاسكودي جاما الذي اكتشف طرق تجارية بديلة عن الطرق التي تقع تحت السيطرة العربية الاسلامية وذلك باكتشاف رأس الرجاء الصالح وتغيير مسار التجارة الاوربية والسيطرة على المنافذ التجارية مع الهند وحرمان العرب والمسلمين منها،

لقد فقد المماليك مورد مالي كبير كانوا يحصلون عليه من الضرائب المفروضة على البضائع التي تنقلها القوافل التجارية عبر اراضيهم، وقد وقع هذا العبء على الطبقات الشعبية

الكادحة من اصحاب الحرف والمزارعين، اذ فرضت السلطة المملوكية الضرائب الفادحة على تلك الطبقات مما ادى الى استياء شعبي كبير آنذاك.

أما الجزء الشرقي من المشرق العربي المتمثل بـ العراق الذي كان تحت الاحتلال الفارس منذ سنة ١٥٠٨م فقد كانت اوضاع سكانه متدهورة ايضا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لما تبعها من سياسة الاهمال الفارسي، فقد كثرت الاوبئة وأهملت مشاريع الري وعانى نظام الاراضي بالفوضى نتيجة الحرب الفارسية - العثمانية المحاددة لبلاد فارس التي كان نتيجتها هزيمة الفرس وانتصار العثمانيين في موقعة جالديران سنة ١٥١٤م .

لقد شجعت الاحداث التي مرت بها بغداد من فوضى الى قيام السلطان العثماني سليمان القانوني بالتحرك نحو بغداد ودخولها في ٣٠ كانون الاول ١٥١٤م

- المحاضرة الثانية

الموضوع/ دخول الوطن العربي تحت السيطرة العثمانية

كان الوطن العربي في اعقاب سقوط الدولة العباسية على يد المغول سنة ١٢٥٨م مقسم الى جزأين هما: المشرق العربي ويظم كل من الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق واقطار الخليج العربي والجزء الثاني هو المغرب العربي ويظم ليبيا وتونس والجزائر ومراكش(المغرب)، وقد عانى المشرق العربي من التمزق السياسي والتدهور الاقتصادي، أذ وقع الجزء الغربي من المشرق العربي (بلاد الشام ومصر) تحت حكم المماليك بينما الجزء الشرقي (العراق) فقد اصبح محط صراع بين الدولة العثمانية والتوسع الصفوي لاسيما بعد أن تمكن اسماعيل الصفوي من القضاء على الاق قوينلوا في العراق وسقوط العراق تحت الحكم الصفوي سنة ١٥٠٨م ولقد تدهورت اوضاع سكانه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية نتيجة سياسة الاهمال التي اتبعها الفرس فقد كثرة الاوبئة وأهملت مشاريع الري وعانى نظام الاراضي كثيرا من الفوضى.

وبعد أن شعر العثمانيون بأنهم القوة القادرة على مواجهة الاستعمار الاوربي الذي كان يهدد العالم الاسلامي سعت الدولة العثمانية من التحرك ومحاربة المماليك وجرت المعارك على ارض سوريا في سهل مرج دابق في ٢٣ اب ١٥١٦م وكان السلطان سليم الاول يقود الجيش العثماني، اما الجيش المملوكي فكان تحت قيادة السلطان قانصوه الغوري.

دارت معارك قاسية بين القوات العثمانية وقوات المماليك ولم يكن هناك تكافؤ بين الطرفين في مجال التنظيم وإدارة الحرب ونوعية الاسلحة المعتمدة فقد تمكن الجيش العثماني من الحاق الهزيمة بالجيش المملوكي وقتل قائده واستمرت القوات العثمانية ملاحقة الجيش المملوكي المنسحب الى مصر والاشتباك معه على مشارف القاهرة عند الريدانية في ٢٣ كانون الثاني ١٥١٧م وقد انهت المعرك بهزيمة المماليك ودخول العثمانيين مدينة القاهر في ٢٦ من الشهر نفسه وتلاحقت هزائم المماليك أمام الجيش العثماني.

بعد أن توالت الانتصارات تحقق دخول العثمانيين في الحجاز واليمن وقد أعلن زين الدين بركات بن محمد الحسني شرف مكة (١٤٩٧- ١٥٢٥) ولائه للسلطان العثماني الذي أرسل وفدا

برئاسة أبنهُ أبي نمي الى القاهرة في ٣ تموز ١٥١٧م ليقف أمام السلطان العثماني وتسليمهُ مفاتيح الكعبة وبعض الاثار النبوية الشريفة إقرار له بالسيادة على الحجاز وأما حاكم اليمن الاسكندر الجركسي فقد اسل هو الاخر وفداً ليقدم فروض الولاء للسلطان العثماني وقد وافق السلطان على بقائه في منصبه واليا على اليمن.

وعلى اثر ازدياد قوة العثمانيين واتساع مساحات الاراضي المفتوحة توجهت انظار السلطان العثماني نحو العراق فاصدر امراً بتحرك القوات العثمانية نحو شمال العراق تحت أمرة فرهاد باشا بيقلي محمد باشا للسيطرة على الموصل وأربيل وكركوك فدخلتها القوات العثمانية منتصرة سنة ١٥١٥م غير ان الحكم العثماني ظل قلقاً في هذه المناطق .

أما جنوب ووسط العراق فقد كان قائماً تحت الاحتلال الفارسي وقد اعلن السلطان العثماني بأحقيته في العراق، وقد استمر النزاع بين العثمانيين والصفويين حتى هزيمة الفرس في موقعة جالديران سنة ١٥١٤م وأعد السلطان سليم الاول حملته لإكمال احتلال العراق غير إن المنية عاجلته سنة ١٥٢٠م وعندما تبؤ السلطان سليمان القانوني العرش (١٥٢٠- ١٥٦٦)م وضع في منظاره توجيه ضربة قوية للدولة الصفوية عن احتلال جنوب ووسط العراق سنة ١٥٣٤م والسيطرة على كامل الاراضي العراقية، ومن ثم التوجه نحو الخليج العربي.

- المحاضرة الثالثة

الموضوع/ السلطان سليم الاول والتحول العثماني نحو المشرق

خاضت الدولة العثمانية في صراع مع الدولة الصفوية في بلاد فارس التي يحكمها الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٠- ١٥٢٤) الذي يُعد مؤسس الدولة الصفوية الذي اتخذ المذهب الشيعي مذهبا رسميا للبلاد وقد أنتهج التعصب الطائفي والذي اتخذه وسيلة لفرض هيمنته علة ايران وعمل على نشره في العراق وقد نجح وفي ١٥٠٨م استولى الشاه على بغداد وجنوب غربي ايران واجرى مذابح فيها ضد السنة ودمر مزارعهم ومساجدهم ثم حاول نشره في الاناضول الموطن الرئيسي للدولة العثمانية بإسم قزل باش (أي الرؤوس الحمراء) فهب السلطان سليم الاول(١٥١٢- ١٥٢٠) ودخل في معركة مع بلاد فارس وانتصر عليهم في اب ١٥١٤م في معركة جالديران ودخل تبرير العاصمة الصفوية وهروب الشاه وتحقق للسلطان العثماني السيطرة على كثير من ارمينية الغربية وما بين النهرين وتبليس وديار بكر وجميع الاراضي الجنوبية حتى الرقة

ظهرت الدولة العثمانية لأول مرة من تاريخها من دول البحر الاحمر فاتجه السلطان سليمان القانوني نحو بلاد الشام وكانت في حينها جزء من دولة المماليك الشراكسة فانتصر عليهم في معركة مرج دابق في اب ١٥١٧م وقد تساقطت بيده تباعا حلب وحماة وحمص ودمشق ثم اتجه جنوبا فاستولى على فلسطين ثم دخل مصر بعد أن انتصر على السلطان المملوكي(طوبان) اخر سلاطين دولة المماليك الشراكسة في معركة الريدانية في كانون الثاني ١٥١٧م وفي ٢٦ منه دخل القاهرة وبذلك طويت صفحة دولة المماليك، وبعد ان سيطرت الدولة العثمانية على بلاد الشام ومصر ارسل شريف مكة وفدا برئاسة ولده الى القاهرة معلنا ولائه

للسلطان العثماني وسلمه مفاتيح الكعبة وبعض ممتلكات الرسول محمد عليه افضل الصلاة والتسليم و دخلت الحجاز تحت السيادة العثمانية فدخلها السلطان تلقائيا وسلميا.

اتجهت انظار السلطان العثماني سليم الاول نحو العر اق اذ أمر فرهاد باشا بيقلي محمد أحد قادة الجيش العثماني بالسيطرة على الموصل واربيل وكركوك وقد تم دخوله سنة ١٥١٥م ، واما العراق الجنوبي والاوسط فد بقي تحت الاحتلال بسب وفاة السلطان سليم الاول عام ١٥٢٠م ، وبعد أن استلم العرش العثماني السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠- ١٥٦٦) م اتجهت انظاره لتحرير العراق الذي كان مسرح الصراع العثماني – الفارسي، وبعد أن أعلن ذو الفقار علي بك نفسه حاكما على بغداد تقرب من العثمانيين وأظهر ولائه لهم، إلا أن الشاه طهماسب الذي خلف ابيه اسماعيل الصفوي لحكم بلاد فارس سنة ١٥٢٤م قام بهجوم على بغداد سنة ١٥٣٠م قتل فيها ذي الفقار وأخمد حركته وعاد العراق الى الحكم الفارسي ثانية.

انزعج المماليك من الاحداث التي قام بها اسماعيل الصفوي وأظهرا تعاونهم مع السلطان العثماني سليم الاول واعقدوا حلفا مع الدولة العثمانية سنة ١٥١٣م ضد الدولة الصفوية، فأتاحوا الفرصة للسلطان سليم الاول لأن يحشد قواته ضد الصفويين دون ان يخشى احتمال هجوم على جيشه من الجهة الجنوبية، وقد شجعته الاحداث التي ارتكبها الصفويين لاسيما وان للسلطان العثماني سليم الاول ثلاث من ابناء أخوة سليم قد نجوا من المذابح التي قام بها الصفويين ضد السنة في الاناضول.

شجعت الاحداث والاضطرابات السلطان العثماني سليمان القانوني الذي تحرك بجيش كبير نحو تبريز ثم همدان وعبر جبال زاجروس وتوجه نحو بغداد وقد انسحبت الحامية الفارسية منها بعد سماع وصول الجيش العثماني وقد دخلها السلطان سليمان القانوني في ٣٠ كانون الاول سنة ١٥٣٤م ثم امتد النفوذ العثماني نحو الخليج العربي ودخول البصرة سنة ١٥٣٨م وبعد أن احكم السيطرة عليها جعلها سنة ١٥٥٠م القاعدة الثانية بعد السويس لانطلاق القوات العثمانية في صراعها مع البرتقاليين سنة ١٥٥٠م وعندما اعلن اهالي القطيف ولائهم للعثمانيين سنة ١٥٥١م أرسل السلطان العثماني القائد البحري بيري بك على رأس اسطول يتألف من (٣٠) سفينة لاحتلال عدن ثم اتجه لإكمال تحرير مناطق الخليج العربي.

- المحاضرة الرابعة

الموضوع/ احكام السيطرة العثمانية على الوطن العربي في عهد السلطان سليمان القانوني

أَعد السلطان العثماني سليم الاول حملة عسكرية لاحتلال العراق وطرد الفرس الصفوين غير أن المنية ادركته قبل اكمال مهمته فتوفي سنة ١٥٢٠م تاركا الخلافة من بعده، للسلطان سليمان القانوني الذي تبوء العرش العثماني (١٥٢٠- ١٥٦٦) وتهيئه لإكمال ما أراد السلطان سليم الاول ان يحققه في حياته، فقد بذل السلطان سليمان القانوني قصارى جهده لتوجيه ضربة قوية للدولة الصفوية عن طريق السيطرة على العراق لاتخاذه قاعدة للانطلاق نحو الخليج العربي ولتحقيق اهدافه عن طريق استمالة بعض حكامه المحلين وكان ذلك في وقت اعلان ذي الفقار حاكما للعراق بعد عزل عمه ابراهيم خان موصلو، أعلن ذي الفقار ولائه للسلطان العثماني ، الا أن الشاه طهماسب الذي تولى الحكم بعد ابية اسماعيل الصفوي سنة ١٥٢٤م قام

بهجوم كبير على بغداد سنة ١٥٣٠م وقتل الحاكم ذي الفقار واخماد حركته واعادت العراق الى السيطرة الفارسية الصفوية،

شجعت الاحداث السلطان العثماني سليمان القانوني الذي حرك قواته صوب تبريز واحتلالها ثم احتلال همدان وعبوره جبال زاجروس والتوجه نحو بغداد، فلما سمعت الحامية الفارسية باحتلال تبريز وهمدن والتوجه العثماني صوب بغداد انسحب الحامية من بغداد فدخلها السلطان سليمان القانوني في ٣٠ كانون الاول ١٥٣٤م بسلام وما ان استقرت القوات العثمانية فيها قرر السلطان العثماني التوجه الى جنوب العراق الذي كان تحت السيطرة الصفوية وبعد إن امل احتلال المناطق الجنوبية والوصول الى البصرة واحتلالها سنة ١٥٤٦م جعلها القاعة الثانية بعد قناة السويس ومحطة انطلاق القوات العثمانية نحو الخليج العربي.

وفي عام ١٥٥١ بدأ الصراع العثماني – البرتغالي عندما اعلن أهالي القطيف ولائهم للسلطان العثماني سليمان القانوني وفي ١٥٥١م القائد البحري العثماني بيري بك على رأس قوة بحرية قوامها اسطول مكون من (٣٠) سفينة لاحتلال عدن وقد بذل العثمانيون جهودا لكسر شوكة البرتغاليين في الخليج العربي وانهاء الطوق التجاري البرتغالي، فقد توجه قوة عثمانية من القاعدة العثمانية في مصر لتساند القواعد المنطلقة من البصرة سنة ١٥٥٣ بقيادة سيدي علي وقد اصطدم بالأسطول البرتغالي عند هرمز وتكررت الحملات العثمانية بعد سيدي علي حتى احتلال البحرين سنة ١٥٥٩م ثم مسقط سنة ١٥٨١، الا انها تراجعت امام الاساطيل البرتغالية، وعندما تولت دولة اليعاربة زمام الامور والدخول في حرب مع الاساطيل البرتغالية سنة ١٦٢٤م والحاق الهزائم بالأسطول البرتغالي تحت قيادة ناصر بن مرشد (١٦٢٤- ١٦٤٩) ومن بعده سلطان بن سيف (١٦٤٩- ١٦٦٨) وتمكنهم من تحرير الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية حتى وصولهم الى ميناء كيجان الصغير على الشاطئ العربي اخر معاقل البرتغاليين سنة ١٦٩٥م.

أما اسباب عدم نجاح العثمانيين في كفاحهم ضد البرتغاليين يعود الى:- وجود قادة بحريين غير كفؤين في ادارة المعارك، وقيامهم بأعمال تعسفية تجاه السكان العرب، وصعوبة تجهيز وادامة اسطولهم بما يكفي لمواجهة الاساطيل البرتغالية اضافة الى انشغال العثمانيين في حروب برية طويلة الامد مع الامبراطورية الرومانية المقدسة وحروب مع الفرس الصفوين.

التوجه نحو المغرب

بعد أن تداولت الاخبار وكثرت القصص عن جرائم الاسبان ضد العرب الأندلسيين والمخاطر التي يتعرضون لها عقب خروجهم من الاندلس لاسيما بعد أن خسر المسلمين المعرك الاخيرة في الاندلس، فقد تعرض العرب الأندلسيين اثناء خروجهم من الاندلس هربا من العنف الذي استخدمه الاسبان ضد المسلمين فقد اشفق كل من مروج واخيه خير الدين فوجها جزء من نشاطهما للعمل على انقاذ المسلمين الهاربين من البطش الصليبي ومحاولة وتأمين ايصالهم الى المغرب العربي.

كان بجاية من اكبر الموانئ الجزائرية بيد الاسبان، وقد استنجد أهلما بالأخوين لتحريرها من الاسبان حيث قام الاخوين بتوجيه اسولهما نحو ميناء جيجل الذي يبعد عن بجاية (١٠٢) كم

وتحريره واتخاذه مركز لنشاط اسطولهما، وفي تلك الفترة اتصل عروج بالسلطان سليم الاول وارسل اليه بعض من الغنائم طالبا الدعم والتأييد، وبناء على ذلك ارسل السلطان العثماني اسطولا يتألف من (١٤) سفينة مع امداداتها بالرجال والسلاح والذخيرة مكنت الاخوين من تحرير ميناء بجاية في اواسط ١٥١٦م ومن ثم التوجه نحو تلمسان وتناس، لدية وميلانة جنوب الجزائر وقد اسفرت الحروب عن مقتل عروج سنة ١٥١٨م، ولضعف ادارة خير الدين في مواجهة الاساطيل البحرية الاسبانية ارسل بعثة الى استانبول ترأسها ابو العباس بن أحمد بن قاضي الزواوي لطلب المساعدة من السلطان العثماني، فرحب به السلطان سليم الاول وارسل قوة قوامها (٦٠٠٠) رجل بمدافعهم وعتادهم ساعدت خير الدين من الاستلاء على طرابلس في ١٨ أيلول ١٥٥١م، وفي اقليم خزان فقد أعلن زعمائه من اسرة بني محمد اعلنوا ولائهم للسلطان العثماني وصارت بلاد الغرب العربي تحت السيطرة العثمانية باستثناء مراكش الواقعة في الركن الغربي من المغرب قد ظلت بعيدة عن العثمانيين بسبب تنامي قوة الدولة السعدية الناشئة منذ منتصف القرن السادس عشر بظهور شخصية المنصور السعدي الذي سعى للحفاظ على استغلال مراكش

الادارة العثمانية في الوطن العر بي

بعد ان اكمل العثمانيون سيطرتهم على الوطن العربي في القرن السادس عشر قاموا بتثبيت حكمهم وتنظيم الادارة والمجتمع مستندين على مصدرين اساسين هما:-

١- النظم التي كانت متبعة في انحاء الدولة العثمانية.
٢- النظم التي كانت سائدة في الاقطار العربية قبل السيطرة العثمانية.

قامت الدولة العثماني بتقسيم الوطن العربي الى ايلات وقد غيرت التسمية الى ولايات وقسمت الولاية الى سناجق(الوية) والالوية الى اقضية والاقضية الى نواحي وكان على رأس الادارة لكل ولاية والي وفي كل سنجق متصرف وفي كل قضاء قائمقام وفي كل ناحية مدير ناحية وفي كل قرية مختار، وقد بلغ عدد الولايات العربية في العهد العثماني(١٢) ولاية وفي كل ولاية متصرفيات مستقلة أما عدد الولايات كالاتي:-

- ولاية الحجاز- ولاية بيروت- ولاية اليمن- ولاية البصرة- ولاية بغداد- ولاية الموصل- ولاية حلب- ولاية سوريا- ولاية الجزائر- ولاية طرابلس المغرب – ولاية تونس- ولاية مصر

- أما المتصرفيات:- متصرفية القدس – متصرفية بنغازي- متصرفية دير الزور- متصرفية جبل لبنان-

ترتبط الولايات والمتصرفيات بالعاصمة استانبول ولم يكن للعرب طيلة الحكم العثماني كيان سياسي خاص بهم ولم يمارسوا أي سلطة سياسية مباشرة، وكان المجتمع مقسم الى طبقتين هما الطبقة الاولى ، طبقة الفقراء(العمال والفلاحين واصحاب المهن)وهم الاكثرية وتقع عليهم مسؤولية دفع الضرائب، وأما الطبقة الثانية فهم (طبقة الحكام) وهم الاقلية وهم من يقوم بجمع الضرائب المفروضة على الطبقة الاولى لدعم سلطتهم وارسال حصة خزينة الدولة الى السلطان العثماني.

من خصائص الحكم العثماني أن جعل خدمات التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية خارج مسؤولية الدولة، واعتمدت الدولة على المؤسسة العسكرية لتحقيق اهدافها في التوسع وفرض السيطرة على تحقيق الامن والنظام داخل الدولة واخضاع العشائر الثائرة باستخدام القوة الانكشارية، وفي النهاية كانت نتيجة الدولة العثمانية الضعف والانحلال حتى سقوطها في الحرب العالمية الأولى وتقسيم ممتلكاتها بين الدول الاستعمارية المنتصرة في الحرب

- **المحاضرة الخامسة**

الموضوع/ ظهور الامارات الاقطاعية والزعامات المحلية في القرنين السابع عشر والثامن عشر(المعنيين- ال ظاهر- الحسنين)

تجلت الادارة العثمانية الاهتمام بالمدن والبلاد الواقعة على سواحل البحار والطرق الرئيسية دون الاهتمام بالمناطق الصحراوية والريفية والنائية من اقطار الوطن العربي رغم ان هذه المناطق تمثل الجانب الاكبر للأقطار العربية التي تدر عليهم اموال اكثر من غيرها فقد كان اهتمامهم بمصر مثلا اكثر من اهتمامهم بـ ليبيا أو اليمن.

وقد اعطيت امتيازات للدول الاوربية امتيازات اقتصادية ودينية في الاقطار العربية مما ادى الى فتح الاقطار العربية للنفوذ الاستعماري الاوربي الذي مارس نشاطه التجاري والتعليمي في ظل تلك الامتيازات بانتشار البنوك والوكالات التجارية والمدارس والكنائس برعاية المسيحيين، وقد حانت الفرصة للأوربيين لتحقيق اطماعهم نتيجة ضعف الدولة العثمانية وتفككها.

وقد امتازت اقطار الشام والعراق من خلال العصبيات التي لعبت دورا مهما في تاريخ الاقطار العربية تحت الحكم العثماني ، فقد شهدت لبنان ظهور اسرة درزية ثائرة على الحكم العثماني وفي صراع مع الموارنة الكاثوليك، كما وشهدت سوريا حكما اسريا دام حوالي سنتين متمثلة في حكم اسرة العظم العرب، وشهدت فلسطين محاولة زعيم عربي طموح هو ظاهر العمر وصراعه من اجل تكوين امارة عربية، كما وشهد العراق حكما اسريا تمثل في اسرة حسن باشا.

لبنان :

عهد السلطان سليم الاول أمر لبنان والمناطق الجبلية في سوريا وفلسطين الى الامير فخرالدين الاول المعني الدرزي الذي ينتمي الى الاسرة المعنية من الدروز في لبنان مقابل أن يعترف الاخير بالسيادة العثمانية ويقدم للدولة العثمانية الجزية ومعها دلائل خضوعه لها، غير أن هذا الشنطاق(الشروط) دفع الامير فخر الدين أن يعمل العصيان ضد الدولة العثمانية والصدام مع القوات العثمانية الذي استمر طويلا حتى انتهاء حياة الامير فخر الدين عام ١٥٤٤م في بلاط باشا الشام بدمشق، وقد خلفه ابنه **قرقماس** قاد حملات لكفاح التشكيلات العثمانية التي تسللت لإبادة الدروز ومن والاهم من أهل لبنان، وفي سنة ١٥٨٥م لقي قرقماس حتفه مع كثير من زعماء لبنان، ونزول القوات العثمانية في لبنان، وبنهاية قرقماس تولى الامارة ابنه **فخر الدين الثاني** الذي عمل بعدة وجوه، فهو يتقنع بقناع المسيحية أمام المسيحيين ويدعي انتمائه الى

المسلمين السنة لكسب ودهم اليه، لكنه لم يفلح في تحقيق أهدافه التي بدئها سنة ١٥٩٠م، ولعدم قدرته على المقاومة دفع جزية كبيرة وقوية الى السلطان العثماني، فوافق السلطان على تعيينه واليا على جبال لبنان والمناطق الساحلية التابعة له وقسم من سوريا وفلسطين، غير أن فخر الدين الثاني تمرد على السلطان واستولى على بعلبك سنة ١٦١٠م وأخذ يهدد الشام.

ارسل السلطان العثماني حملة عسكرية نزلت في لبنان، ففر فخر الدين الى ايطاليا التي مكث فيها خمس سنوات في ضيافة **كوسموس الاول** ابن فرديناند حاكم توسكانيا، وفي عام ١٦١٨ م عاد الامير فخر الدين الثاني الى لبنان بعد أن عفا عنه السلطان عثمان الثاني ليجد أُمه الحكيمة نسب في اثناء غيابه، واستمرت في الدفاع عن بلاده – دمشق- باسم حفيده علي رضا باشا وقد اعترف فخر الدين بالأمير الجديد اوأخذ مارس العمل معه في الامارة، وفي عام ١٦٣١م أعلن الثورة لاحتلال الساحل السوري حتى مدينة انطاكيا، وفي سنة ١٦٣٣ حشدت الدولة العثمانية قوات بحرية وكلفت باشوات الشام بالزحف برا الى لبنان ضد الامير فخر الدين وابنه علي حيث التقى الفريقان ودارة المعارك التي قتل فيها الامير علي بينما استسلم فخر الدين الثاني، وظلت المقاومة حتى القرن السابع عشر اتسم الصراع بدخول منافس للمعنيين في لبنان وهم الاسرة المعنية التي تنتسب الى القيسية المعنية والتي تُلقب بـالحمر قادت الصراع ضد حكم اسرة فخر الدين المعنية الملقبة بالبيض المؤيدين للأتراك، استمر النزاع بين القيسيين والمعنيين وكانت النتيجة تغلب القيسيين على المعنيين وظهور اسرة درزية اخرى هي الاسرة الشهابية.

آل ظاهر

كانت بلاد الشام بصفة عامة وولاية صيدا خاضعة للدولة العثمانية منذ دخول العثمانيين اليها في اوائل القرن السادس عشر وطبقا للتنظيمات الادارية العثمانية قسمت بلاد الشام الى ثلاث ولايات(ايالات) هي حلب وتظم مناطق شمال الشام وولاية طرابلس وتشمل بلاد وسط الشام وولاية دمشق وتظم البلاد الجنوبية من سوريا وكل فلسطين، وفي عام ١٦٦٠ أُعيد تقسيم بلاد الشام في اربع ولايات بعد إضافة ولاية صيدا التي تضمنت المناطق الساحلية لبلاد الشام وكانت حيفا، وبلاد حارثة ويافا وجبل نابلس وغزة في فلسطين تابعة لإيالة الشام الواسعة وكانت ايالة صيدا ضيقة لا تتجاوز مدن الساحل وضواحيها وبلاد صفد، لأن أغلب البلاد الداخلية بحدودها العالية في الجبال كان الغالب فيها **الحكم الاقطاعي** إذ لايوجد للوزير يدٌ فيها إلا ماندر.

كان دافع الدولة العثمانية من إقامة ولاية رابعة في بلاد الشام عام ١٦٦٠ كولاية **صيدا** لغرض مراقبة الدروز والموارنة في لبنان لضمان عدم تجدد الثورات فيها، ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر اكتسبت ولاية صيدا مركزاً خاصاً بين ولايات الشام فأصبحت أكثر مكانة من ولايات الشام،

كانت ولاية صيدا مقسمة الى إقطاعيات يلتزم كل مقاطعة شيخ من البيوت القديمة ذات الحيثية، وكان الشيوخ يتحصنون في قلاع بقايا اثار الصليبيين بالجبال ويلتف حولهم رجال أشداء من عشائرهم وهم ينفذون أوامر المشايخ ولا يخرجون عليهم ، وكانت القوات العثمانية المتواجدة هناك قوات مأجورة وغرباء وكانوا يتعاملون مع أهل البلاد بوسائل السلب والنهب لمصلحتهم الخاصة، ومصلحة الوالي الذي كان دائم السكوت عن أفعالهم، وقد بلغ ضيق الناس

بأفعال هؤلاء الجند الذين اصبحوا مظرب المثل القائل(فلان نظير عسكر الدولة مِلَحه على ذيلَه) أي لاذمة ولا ضمير (لايذكر الخبز والملح)، وكانت القبائل تطمح لوجود رجل قوي فيعلن اماله وتطلعاته للدفاع عن تلك المناطق، لطرد الجيوش السلابة.

ظهر الشيخ ظاهر عمر الزيداني وهو من قبيلة بني زيدان بين الشام وحلب، وهم من بطون الحسن بن علي بن ابي طالب، وعندما نصب ظاهر بن عمر شيخ على بلاد صفد سنة ١٦٩٨م وله من العمر تسع سنين، أخذ ظاهر بتوسيع التزامه باحتضان البلاد الذي حول صيدا شيئاً فشيئاً بموافقة الوالي الذي لم يرفض طلبات الشيخ ظاهر **المدعومة بالهدايا**، وبذلك تمكن ظاهر من جمع البلاد التي حول طبرية، وقد اشتهر الشيخ ظاهر بالعدل والرحمة وقدرته على حماية البلاد من غارات البدو، وحملات السلب والنهب التي يقوم بها العسكر، ونتيجة لصفاته الجيدة ذاع صيته بين عرب فلسطين، فأخذت جموع القبائل تلجأ الى ولايته ليرد عنهم ظلم حكامهم وملتزميهم، الامر الذي **أوغد** صدور الحكام والملتزمين ضد ظاهر وجعله هدفاً لمؤامراتهم وتحالفهم مع الدولة العثمانية وباشوات بلاد الشام ضد ظاهر، وعندما تأزمت الامور بين الطرفين اتبع ظاهر سياسة المسالمة في ضم البلاد الراغب ضمها الى التزامه، وإذا فشلت سياسة المسالمة التجأ الى الحرب وكان النجاح حليفه في أغلب الاحيان، وقد أستطاع ظاهر سنة ١٦٧٩م أن يحصل على التزام صيدا من ملتزميها مثل محمد نافع، نتيجة لاتساع التزام ظاهر وقوة شوكته، ونتيجة لإثارة الملتزمين القداما لباشا صيدا ضد ظاهر، فقد ساءت العلاقة بين ظاهر وممثلي الدولة العثمانية، نشب الصراع بين الجانبين، استطاع ظاهر حصول موافقة السلطان العثماني بعد ان وصلت اليه الهدايا الكثيرة والاموال الوفيرة من ظاهر، فاصدر السلطان فرمان بجعل ظاهر واليا على ولاية صيدا والاقطاعات التي بيده، ولسوء العلاقات المتلاحقة أصدر السلطان العثماني أمرا للباشوات الثلاثة عثمان وولده درويش باشا ومحمد باشا ومعهم والي حلب وأمير الدروز بقتل ظاهر والقضاء على اسرته غير أن ظاهر ارسل وفدا الى مصر لطلب النجدة من علي بك فارسل له علي بك (٤٠٠٠) أربعة الاف جندي ليكون في خدمة ظاهر ولكن تمرد محمد ابو الذهب على سيده علي بك الذي هرب الى فلسطين سنة ١٧٧٣م لطلب النجدة من ظاهر جعلت ابو الذهب يتحالف مع الدولة العثمانية فارسل السلطان العثماني حملة عسكرية لمحاصرة عكا والاستيلاء عليها ومطاردة ظاهر ومن تحالف معه انتهت بمقتل ظاهرعلى يد أحد حراسة الشخصيين وهو مغربي الاصل والذي خان سيده سنة ١٧٧٥م وانتهاء امارة ظاهر.

الحسنيين

كانت البصرة بحكم موقعها، ولها وضع خاص اذ استولى عليها الفرس الصفويين سنة ١٦٩٧م ثم تركوها وبعد عامين أغار عليها نادر شاه سنة ١٧٤٣م ثم ارتد عنها ، وكان لموقعها على شط العرب في راس الخليج العربي مصدر اهتمام الدول الاوربية وقد استفادت العشائر العربية هناك من الاهتمام الاوربي الى جانب استفادتها من الصراع الايراني- العثماني، وقد ظل الصراع العثماني- الفارسي، دافع لظهور اسرة حاكمة تحكم العراق في أوائل القرن الثامن عشر واستمر حتى ١٨٣١م وهي اسرة حسن باشا الذي تعين سنة ١٧٠٤ ونجح في اخضاع القبائل العربية المتمردين حتى لم يعد باستطاعة الباب العالي من أن يستغني عن خدمات حسن باشا.

اتخذ حسن باشا بغداد مقراً له وكانت اقاليم العراق تخضع لع عدا البصرة والموصل التي كثيرا ما يعلن حكامها عدم خضوعهم لباشا بغداد، وكان حسن باشا ومن بعده ابنه احمد باشا، قد نجحا في البقاء في الباشوية بسبب تكوين قوة عسكرية من المماليك تحت امرة كل منهما وكان للمماليك منزلة كبيرة عند حسن باشا و أحمد باشا بسبب دورهم في اخماد الثورات المستمرة للقبائل العربية وعندما توفي احمد باشا سنة ١٧٤٧م كان سليمان اغا يقوم بحملة عسكرية في البصرة وقد حاولت الدولة العثمانية انهاء حكم هذه الاسرة وإعادة العراق الى الحكم العثماني المباشر، أما في بغداد فأن الانكشارية لم يرتضوا بقبول الباشا العثماني الجديد الذي ارسله السلطان العثماني، فزحف سليمان أغا من البصرة ودخل بغداد بالقوة وأعلن نفسه الباشا الشرعي لها وقد صدر فرمان من السلطان العثماني بولاية سليمان أغا باشا بغداد سنة ١٧٤٩م وبهذا بدأت سلسلة الباشوات المماليك في العراق والذي استمر حتى سنة ١٨٣١م

- المحاضرة السادسة

موقف العثمانيين من التوسع الاستعماري الاوربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر

كانت العلاقات العربية – الاوربية قبل الزحف العثماني على اقطار الوطن العربي تمثل نشاط كل من البندقية وجنوة واسبانيا وفرنسا والقديس يوحنا والبرتغال اضافة الى جانب ابراز اثار الغزو الصليبي للأقطار العربية، وكان امر المسلمين في الاندلس قد انتهى بهزيمتهم وسيطرت البرتغاليين والاسبان وكانت الهزيمة نقطة تحول خطيرة في تاريخ العرب المسلمين من جهة والاسبان والبرتغاليين من جهة اخرى أذ تحول الصراع العسكري الى صراع ديني اتخذ شكل الحروب الصليبية بين الطرفين

وقد اتخذت الحرب مظهر من مظاهر الحرب البحرية، فقد قام الاسبان بتعقب سفن العرب الاندلسيين المتوجهين نحو المغرب العربي وقد هاجموا الموانئ والمرافئ العربية، وقد وقف العرب في شمال افريقيا موقف الدفاع عن سفن المهاجرين وبالتالي عن سفنهم واساطيلهم واستمرت هجرت عرب اسبانيا حتى طرد اخر فوج للعرب والمسلمين الأندلسيين ونزولهم في المغرب العربي، ونزل مسيحي اسبانيا في موانئ شمال افريقيا وقد شاهد المسلمين حقد المسيحين نحوهم مما دفعهم الى الجهاد بكل وسائله البحرية والبرية إلا أن طابع الحركة لم يكن نظاميا ولم تكن هناك دولة قوية وإنما تجمع للمهاجرين المطرودين وكانوا مسوقين الى تبني الجهاد البحري باعتباره الحتمية الالزامية لتلك الفترة.

بينما اتخذ الهجوم الاوربي صورة الدولة المواجهة والمخططة للهجوم لاسيما وان الاوضاع في المغرب العربي وصلت من التفكك والتدهور، مما شجع الاستعمار الاسباني والبرتغالي على احتلال مرفأ عنابة سنة ١٤٦٣م ومدينة المرسى الكبير في غرب الجزائر سنة ١٥٠٥م وبجاية وطرابلس سنة ١٥١٠م والجزائر سنة ١٥١١م وكانت الحملات الاوربية قد عاصرت مشروعات الدولة العثمانية بزعامة السلطان سليم الاول الذي اخذ على عاتقه قوة تتولى تنزع السيادة البحرية من الدول الاوربية في حوض البحر المتوسط كما وظهرت حركة عامة بين قادة البحر المغاربة تستهدف العمل على حماية موانئهم وسواحلهم من الاطماع الاوربية

أما فرسان القديس يوحنا كانوا بقايا الغزو الصليبي لفلسطين وقد طردهم الاتراك العثمانيون وانتقلوا الى جزيرة رودس وبقوا فيها يهددون اقطار المشرق العربي حتى طردهم الاتراك العثمانيين منها ثم انتقلوا الى جزيرة مالطة ومنها مارسوا نشاط صليبي بالتعرض لسفن وسواحل الاقطار العربية الاسلامية في شمال افريقيا.

كانت اقطار الوطن العربي والاسلامي تنظر للانتصارات العثمانية وفتوحاتهم على حساب الامبراطورية البيزنطية نظرة ملؤها الاحترام والحماس والتأييد وكانوا يتطلعون الى تلك الانتصارات العثمانية لتكون حماة الدين الاسلامي والاقطار العربية والاسلامية، وعندما استطاع عثمان صد الهجوم المغولي على اسيا الصغرى وهروب اخر سلاطين السلاجقة وقتله في بلاد الامبراطورية البيزنطية ثم بسط عثمان سلطته على الامارات التركية الاخرى في اسيا الصغرى وضرب السكة باسمه، مما جعل دعاء الخطب مشجعه له في الاستمرار بالتوسع على حساب الدولة البيزنطية حتى بلغ شواطئ البحر الاسود وبحر مرمرة وعندما عزم محمد الثاني(محمد الفاتح) من فتح القسطنطينية سنة ١٤٥١م ليتخلص من مؤامرات الامبراطور البيزنطي وتحويل كنيسة (أيا صوفيا) الى مسجد أطلق عليها اسم (اسلام بول) أي مدينة السلام ورفع عليها العلم التركي ذو الهلال وسلمت له جزر الارخبيل اليوناني واستمر بأعمال العمران والعلم والفن حتى وفاته سنة ١٤٨١م وخلفه ابنه بايزيد الثاني الذي تأزمت العلاقة بينه وبين سلاطين المماليك في مصر والشام، وقيامه بأرسال الاسطول العثماني بقيادة كمال ريس لنجدة المسلمين في غرناطة الفارين بدينهم من ملاحقة الاسبان الكاثوليك المتعصبين ، ودخوله في حرب مع اساطيل البندقية واسبانيا والبادية.

بدأت البرتغال اعمال الكشف الجغرافي المرتبط بمحاربة المسلمين العرب اينما وجدوا فلما وصل البرتغاليون الى ميناء الهند اصطدموا بالمسلمين العرب بزعامة سلطان المماليك في مصر والشام ، وكان لهزيمة العرب عام ١٥٠٩م أمام بومباي في معركة (ديو البحرية) تمكن البرتغاليين من الاستيلاء على جزيرة هرمز المتحكمة في مدخل الخليج العربي وجزر البحرين وأخذت تتعقب سفن العرب والمسلمين العاملين في الهند والشرق الاقصى لحرمانهم من ان يكون لهم نشاط ينافس البرتغاليين في الجهات التي احتكروها لأنفسهم.

وفي أوائل القرن السادس عشر قفز سليم الاول أبن بايزيد الثاني في الحكم بعد ان خلع والده من عرش السلطنة العثمانية حيث شهد عهده.

١- تقب معتنقي المذهب الشيعي في املاك الدولة الشرقية والقضاء عليهم.

٢- تخلص من منافسيه على الحكم (اخوته وامراء الاسرة)

٣- شن حرب ضد الشاه اسماعيل الصفوي شاه فارس عام ١٥١٤م وهزيمة الاخير في موقعة جالديران وهروبه الى العاصمة الفارسية تبريز ثم العودة الى استانبول.

شن حرب ضد سلطة المماليك بالاستلاء على الشام سنة ١٥١٦م ومقتل قانصوه الغوري سلطان المماليك في معركة(مرج دابق) قرب حلب، ثم التقدم نحو مصر والاستيلاء عليها سنة ١٥١٧م حيث قتل سلطان المماليك شنقا في طومان باي.

بعد وفاة سليم الاول خلفه ابنه سليمان سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م، قام سليمان القانوني بالهجوم على الصليبين في جزيرة رودس وطرد فرسان القديس يوحنا واقتحام بلدة بلغراد عاصمة الصرب والاستيلاء على المجر وعاصمتها بودابست سنة ١٥٢٩م ثم الاستيلاء على مدينة فينا عاصمة النمسا بعد أن هزم النمساويين عام ١٥٢٩م لكنه فشل، وقد ايد عمليات الجهاد البحري الاسلامي ضد الاسبان وفرسان القديس يوحنا في الحوض الغربي للبحر المتوسط بقيادة عروج وأخيه خير الدين وسنان باشا وطرود باشا، ووقد ارسل السلطان سليمان القانوني سفن حربية لمساعدة مسلمي الهند ضد البرتغاليين

توجه السلطان سليمان القانوني صوب بغداد التي كانت بيد الفرس الصفويون وعندما سمعوا خبر وصول القوات العثمانية انسحبت الحامية الصفوية منها فدخلها السلطان سليمان القانوني في ٣٠ كانون الاول ١٥٣٤م بسلام وما ان استقرت القوات العثمانية فيها قرر السلطان العثماني التوجه الى جنوب العراق الذي كان تحت السيطرة الصفوية وبعد إن أمن احتلال المناطق الجنوبية والوصول الى البصرة واحتلالها سنة ١٥٤٦م جعلها القاعة الثانية بعد قناة السويس لملاحقة الاساطيل الأجنبية في الخليج العربي

تحرك فرسان يوحنا في جزيرة مالطة واحتلالهم طرابلس سنة ١٥٣٥م حتى تم طردهم من قبل الاتراك العثمانيين عند مجيئهم الى طرابلس سنة ١٥٥١م و كانت البرتغال تشارك الاسبان في عدائهم للعرب والمسلمين في اتباع اسلوب صليبي ضد الاقطار العربية والاسلامية

تعد فترة السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠- ١٥٦٦م مركز العالم واقوى دولة وكان السلطان سليمان القانوني أعظم شخصية في التاريخ العثماني فقد وصلت الامبراطورية العثمانية في زمنه أوج اتساعها وقوتها براً وبحراً حيث إجتمعت خصائصه الشخصية عناصر القوة العسكرية والاقتصادية والادارية التي كانت تفوق مالدى الدول الاوربية المعاصرة لها وكانت هناك مؤشرات تَفُوق الدولة العثمانية مثلا، مؤشرات الفتوحات والسيادة العسكرية البحرية والبرية وهناك، مؤشرات التقاليد الدبلوماسية فكانت الدول الاوربية تنظر الى الدولة العثمانية بعين الهيبة والوقار وقد لقب السلطان العثماني سليمان القانوني بـ(السيد الاعظم) في حين لم يستخدم السلاطين هذه الالقاب في اوربا.

وقد لعبت تلك المؤشرات على العلاقات بين الدول الا وربية الكبرى حيث اضحت عامل اساس في توازن القوى الاوربية وقد استقوت بعض الدول الاوربية كفرنسا التي استقوت بالدولة العثمانية في مواجهة غيرها من الدول الاوربية، وقد عقدت فرنسا سنة ١٥٣٥م **معاهدة سلام** مع الدولة العثمانية تقضي عدم اشتراك فرنسا في حرب صليبية ضد الدولة العثمانية، وعندما دخلت الدولة العثمانية في حروبها ضد الاسبان في تونس، نجد أن فرانسوا الاول عقد صلحا مع شارل الخامس ملك اسبانيا تمهيداً لتوحيد اوربا المسيحية ضد الدولة العثمانية، ولحاجة الدولة العثمانية للسلام مع الجبهة الغربية وضع صلحاً مع شارل الخامس يقضي تأمين الجبهة الغربية لمواجهة الضغوط الفارسية على الجبهة الشرقية، ولتحقيق الاهداف العثمانية عقدة معاهدة مع فرنسا سنة ١٥٣٥م عرفت بـ(**معاهدة الامتيازات**) ومن اهم دوافع الدولة العثمانية في عقد المعاهدة هي لمواجهة محاولات التوحد الاوربي، ومن مصالح المعاهدة للدولة العثمانية:-

١- ان اصل المعاهدة هو معاهدة الصداقة والتجارة الفرنسية- العثمانية

٢- ان المعاهدة مجرد تصديق على اجراءات كانت متبعة من قبل فقد سبق للماليك مصر، ومحمد الفاتح، والسلطان سليم الاول أن منحو التجار الغربيين تسهيلات كثيرة.

إن تقديم الامتيازات كانت لهدفين هما:- تشجيع التجارة في ارجاء الامبراطورية، ولجعل مصر والشرق الادنى حلقة اتصال من جديد للتجارة بين الشرق والغرب بدلا من استخدام راس الرجاء الصالح، وقد دعمت التجارة قوة حليفها الاوربي(فرنسا) في مواجهة الاوربي ايضا وكانت المعاهدة تخدم المصالح العثمانية والفرنسية وكانت المعاهدة ردا على الامتيازات التي منحها محمد علي للأوربيين والتعاون معهم ضد الدولة العثمانية

نتائج ضم العثمانيين للوطن العربي

بعد ان ضم العثمانيين الوطن العربي اكتسبت الدولة العثمانية مظهر سياسي ودولي كبير ادى الى مجموعة من النتائج نذكر منها:-

النتائج بالنسبة للعثمانيين

١- ضمت الدولة العثمانية الوطن العربي الى الاقاليم الاوربية التي تدين بالمسيحية واصبح العرب المسلمون يشكلون نسبة كبيرة من السكان مما جعل للدولة سياسة اسلامية.
٢- اصبحت الدولة العثمانية امبراطورية واسعة تمتد في ثلاث قارات مما وجد لها اعداء كثيرين في أوربا:-(النمسا- اسبانيا- البرتغال)
٣- اصبح البحر الاسود بحيرة عثمانية كما سيطر العثمانيون في زمن سليمان القانوني على غرب البحر المتوسط فكان العثمانيون سادة البحر.
٤- استعمل العثمانيون الثقافة العربية الاسلامية باعتبارهم مسلمين فجعلوا الحرف العربي الاساس في كتاباتهم واتخذوا العلوم الشرعية في الاسلام الاساس الذي سارت عليه الدولة فكانت الخلافة اسلامية.

النتائج بالنسبة للعرب

١- وحد العثمانيون الوطن العربي بعد ان كان دويلات متفرقة وحمى الوطن العربي من الحملات الصليبية والاستعمار حوالي اربعة قرون.
٢- حافظ العثمانيون على المذهب السني في الوطن العربي.
٣- انقذ الحكم العثماني العراق من الحكم الصفوي وحافظ عليه عربيا سنياً.
٤- اصبحت اللغة العربية اللغة الثانية بعد أن كانت الاولى.
٥- انتقل مركز الثقل الاقتصادي والثقافي والسياسي الى خارج الوطن العربي الى تركيا مما ادى الى تخلف الوطن العربي وفقدان النواحي العلمية والثقافية.

- المحاضرة السابعة

الموضوع/ الصراع الانكليزي- الفرنسي في القرن الثامن عشر (الحملة الفرنسية) على مصر سنة ١٧٩٨

دخلت مصر تحت الحكم العثماني بعد معركة (الريدانية)عام ١٥١٧م وقد استفاد العثمانيون من علومها وحضارتها حيث نقل السلطان العثماني سليم الاول مجموعة من المفكرين والعلماء الى الإستانة وصارت مصر احدى الولايات العثمانية حتى قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٨م.

تقدمت اوربا في نهضتها وتطورها العلمي فاصبح الوطن العربي نهبا للمغامرين والمستعمرين الأوربيين، وكان التنافس شديد بين الدول الاوربية من اجل الاستيلاء على الاسواق التجارية والاستفادة من موقع الوطن العربي الاستراتيجي.

تمثل حملة نابليون بونابرت احدى توجيهات الدول الاوربية لمد النفوذ الاستعماري، وقد تمثلت حملة نابليون على مصر بالاتي:-

١- محاولة فرنسا جعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية.
٢- ضرب الاسطول البريطاني في شرق وغرب البحر المتوسط كونها العدو اللدود لفرنسا.
٣- رغبة نابليون في اقامة دولة شرقية تحت النفوذ الفرنسي لتصبح قاعدة جوية لغزو الهند – المستعمرة البريطانية.
٤- كان اختيار مصر بالذات لموقها الاستراتيجي في الشرق العربي لاسيما وانها مركز وصل بين البحر المتوسط والبحر الاحمر.
٥- طلبت الحكومة الفرنسية من نابليون بونابرت ضرب بريطانيا فوجد أن ضربتها تتم من خلال مصر باتجاه الهند كونها اسهل من مواجهتها بشكل مباشر.
٦- رغبة الحكومة الفرنسية ابعاد نابليون عن فرنسا بعد أن أظهر رغبة نابليون في نيل الشهرة اللازمة من اجل السيطرة على حكم فرنسا.

بدأت الحملة الفرنسية من موانئ فرنسا الجنوبية في ايار ١٧٩٨م عندما وصل نابليون شواطئ الاسكندرية واحتلالها في ٣ تموز ١٧٩٨م ، ثم اسرع براً باتجاه القاهرة وبعد الانتصار الذي حققه على المماليك في معركة(الاهرام) وهروب المماليك الى الصعيد دخلها واحكم سيطرته عليها، وقام بتوزيع المنشورات على الشعب المصري مضمونه انه جاء ليخلص المصريين من ظلم المماليك، كما وادعى بأن الفرنسيين مسلمين، وانهم الى جانب الدولة العثمانية، محاولةً منه لكسب قبول المصريين بالادعاءات والوعود الاصلاحية، غير أن الشعب المصري لم تخدعه مبررات نابليون المعسولة، بل انهم يعرفون مدى كذب نابليون منذ اليوم الاول من دخول الفرنسيين جامع الازهر حيث نهبوا ممتلكاته وداسوا المصاحف وقتلوا العلماء والمشايخ المعارضين للاحتلال، عمل نابليون في مصر على فرض الضرائب ومصادرة الاموال والدور.

فانطلقت ثورة الازهر ضد الاحتلال الفرنسي التي بدأت من حي بولاق في ٢ اذار ١٨٠٠م وقد استخدم الفرنسيون القوة الوحشية لإخماد الثورة، وقد ساءت معاملة نابليون لمصر بعد أن

حطم الانكليز الاسطول الفرنسي في خليج (ابو القير) وانقطاع الاتصالات مع فرنسا، الامر الذي شجع الشعب المصري على اشعال نار الثورة ضد الاحتلال الفرنسي الا ان نابليون استخدم المدفعية والاسلحة الحديثة ضد المدن المصرية واخماد الثورة الاولى في مصر، ولما علم نابليون بوجود اتفاق عثماني – انكليزي لاستعادة مصر، قام بحملة على الشام فدخلها واحتلال غزة ويافا ووصول القوات الفرنسية أسوار عكا ومحاصرتها، الا أن صمود اهل عكا أمام الحصار الفرنسي ولم تستطع القوات الفرنسية من السيطرة عليها وذلك لشجاعة المواطنين في التصدي لقوات الاحتلال والحاق الخسائر بهم من جهة وتفشي الامراض في جنود جيش الاحتلال .

وعندما سمع نابليون بوجود ثورة في مصر ضدهُ سحب قواته من الشام والتوجه صوب مصر لإخماد الثورة، وهو في طريقه سمع بتأزم الاوضاع في فرنسا فأضطر الى العودة الى فرنسا سراً تاركاً الجنرال (كليبر) مساعده الشخصي ليفاوض الدولة العثمانية والجلاء من مصر.

كانت هناك اتفاقية بين فرنسا وتركيا تنص على مغادرة الجيش الفرنسي من مصر الى تركيا، الا أن بريطانيا رفضت السماح للجنود الفرنسيين أن يغادروا مصر الا أن يكونوا اسرى حرب فرفض الفرنسيون وعادوا لمواجهة الجيش التركي وطرده من مصر وقد استطاع الشاب السوري (سليمان الحلبي)قتل القائد الفرنسي كليبر ، فخلفه الجنرال (مينو) قائد الجيش الفرنسي.

تدخل الجيش الانكليزي فأحتل الاسكندرية سنة ١٨٠١م ومن ثم توجه الى القاهرة فاحتلها، مما اضطر القائد الفرنسي مينو للاستسلام والحاق هزيمة بالجيش الفرنسي الغازي الذي ارتكب اعمال السلب والنهب وقتل المواطنين المصريين.

غادر الجيش الفرنسي مصر سنة ١٨٠١ يجر اذلال الخيبة والخسران، وقد تسابق المماليك والعثمانيين على حكم مصر، غير أن الانكليز تلكؤ في اخراج جيشهم من مصر الا أن الحاح العثمانيين والفرنسيين خرجوا من مصر، وفي سنة ١٨٠٧ عاود الانكليز لاحتلال مصر بقيادة (فريزر) فقد احتل الجيش الانكليزي الاسكندرية واتجه نحو القاهرة إلا أن بسالة المقاومة الشعبية المصرية للدفاع عن مصر اوقفت الانكليز في منطقة رشيد ليعودوا الى الاسكندرية ثم الانسحاب النهائي من مصر وعودة مصر ولاية عثمانية حتى برز شخص جديد يدعى محمد علي باشا الذي اختاره الشعب المصري واليا على مصر وقد حاول الوالي الجديد من ان يجل له امبراطورية تمتد عبر الوطن العربي إلا أن المؤامرة البريطانية وقفت حائلا دون ذلك، كون بريطانيا كانت تتطلع لاحتلال مصر .

- المحاضرة الثامنة

الموضوع /الاحتلال الفرنسي لجزائر والتغلغل الاوربي في المغرب العربي

احتلال الجزائر

خضعت الجزائر سنة ١٥١٨ للسيطرة العثمانية الا انها تتمتع بسلطات خاصة بسبب استقلال (داي) الجزائر، الذي كان يحق له أن يعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية دون الرجوع الى السلطان العثماني .

وقد اصيبت الجزائر بنكبات متتالية خلال القرن الثامن عشر بسبب كساد التجارة، ومقاومة الدول الاوربية، ووجود نزاعات داخلية بين الديانات انفسهم، وبينهم وبين قادة الجيش، وقادة القراصنة.

أدت المعاهدات التي عقدها الداي مع الدول الاوربية الى فتح باب امام النفوذ الاوربي لاسيما فرنسا في عهد شارل العاشر ١٧٢٤ الذي كان يتطلع الى الجزائر وبما ان فرنسا كانت مضطربة في الداخل، مما جعل شارل العاشر يتوجه بفكرته نحو احتلال الجزائر، باعتقاده ان مظاهر الحرب سوف تزيد من الشعور الوطني وتعايش الناس حول الملك وتعطيل انفجار الثورة، أضافة الى ان كبار المتنفذين والنبلاء في فرنسا كانوا يتطلعون الى احتلال اراضي جديدة تمد عليهم اموالاً عما فقدوه في حروب نابليون، كما وان فرنسا عندما اتجهت صوب الجزائر لم تجد مقاومة اوربية كالتي واجهتها في حروب نابليون، لذلك انفردت في تصرفها في محاولة لاحتلال الجزائر تحت ادعاءات مفبركة من الجانب الفرنسي، منها ان فرنسا كانت تدافع عن القضية الاوربية وذلك بقضائها على تهديدات الجزائر للأوربيين، ومعاهداتها مع المسيحيين، واستمرار تجارت الرق ، ويرجح ان العامل الديني هو الاغلب في تلك الادعاءات.

كما وان حادثة صفع الداي بمنشته على وجه القنصل الفرنسي وتفصيلها ان الداي سأل القنصل الفرنسي عن سبب عدم الردود على رسالته الموجهة الى وزير الخارجية الفرنسي فرد عليه القنصل بجفاء فأشاح الداي بمنشته التي كانت بيده بوجه القنصل الفرنسي رغم ان الداي اكد ان ذلك لم يحدث غير ان فرنسا استقلت تلك الحادثة فكتب وزير الحربية الفرنسي رسالة الى شارل العاشر يقول فيها "لقد ارادت العناية الالية ان يشار الى جلالتكم بشده في شخص قنصلكم بواسطة اكثر أعداء المسيحيين وقد أثبت ذلك الاتجاه الصليبي المتأمل لدى الحكومة الفرنسية أن قسيساً قال في صلاته لتأكد الحملة عند احتلال الجزائر التي تفتح باباً للمسيحيين في اوربا"

اسباب استعمار فرنسا للجزائر

١- اسباب اقتصادية حيث كانت فرنسا تطمع في خيرات الجزائر وتنظر اليها بسبب غنائها الواسع لاتخاذها سوق لتصريف مصنوعاتها لاسيما وان فرنسا كانت ترزح تحت دَين للجزائر وهي أموال كانت قد دفعتها الجزائر ثمنا لمشتريات القمح خلال اوقات فرنسا العصيبة أثناء الثورة الفرنسية وكان هذا الدَين يقدر بثمانية ملاين فرنك فرنسي.
٢- رغبة فرنسا في بسط النفوذ المسيحي على افريقيا.

٣- التعويض عما فقدته من المستعمرات بعد حروب نابليون الطويلة وتنازلها في كثير من مستعمراتها الى بريطانيا.
٤- صرف نظر الشعب الفرنسي عن الاخطاء الداخلية لحكومة شارل العاشر الرجعية والعمل على استعادت امبراطورية فرنسية جديدة مما جعل شارل العاشر بطلاً قومياً بغض النظر عما يفعله في الداخل.
٥- القضاء على خطر تجربة الجزائر التي كانت مسيطرة على جزء كبير من تجارة البحر المتوسط.
٦- السبب المباشر الذي ادعته فرنسا هي حادثة المنشة (الداي حسين) في وجه القنصل الفرنسي.

احتلال الجزائر

استغرقت عمليات احتلال الجزائر ثلاث سنوات حيث بدأ الحصار البحري في ١٦ حزيران ١٨٢٧ ولغاية ١٩ حزيران ١٨٣٠ ، اعتبر داي ذلك بانه ليس مناورة بحرية وانما هو اعلان الحرب وقد اراد القائد الفرنسي انصياع الداي والاعتذار عن صفعة المنشة للقنصل الفرنسي غير ان الداي لم يستجب للاعتذار فأرسلت فرنسا حملة لاحتلال الجزائر وهذا كان حلم يراود الفرنسيين منذ القرن التاسع عشر، وقد نزل الجيش الفرنسي في ميناء سيدي فرج في ١٩ حزيران ١٨٣٠ والاستيلاء على مدينة الجزائر قبل نهاية العام نفسه وقد اجبر الداي على الاستسلام بموجب معاهدة عقدت بين الجانبين جاء فيها ان للداي الحق بالإقامة في المحل الذي يرغب وان يُعطى له حرية الديانة الاسلامية ومنح الحماية له كما ومنحت واعلنت بمنح القواد الجزائريين نفس ما منح للداي من حماية، وكان ذلك خدعة ابتكرها الفرنسيين، وكانت المعاهدة بمثابة فرصة ثمينة للفرنسيين باحتلال المدن الجزائرية الواحدة تلوا الاخرى واشاعوا فيها السلب والنهب والفساد وقتل المواطنين الجزائريين بالجملة وحرق المزارع والمدن على الرغم من المقاومة الشرسة التي ابداها المواطنين الجزائريين الا انها اقل من القوة الفرنسية .

عبد القادر الجزائري

بعد ان لاقى ما لاقى الجزائريين من بطش الفرنسيين توجه العلماء والعقلاء لاختيار أمير تجتمع فيه صفات القيادة فوقع الاختيار على السيد محي الدين وابنه عبدالقادر الجزائري الذي لقب بالأمير عبد القادر وقد بايعه العلماء بالزعامة في ٢٧ تشرين الثاني ١٨٣٢ فقام عبدالقادر بأنشاء مجلس شورى ينتخب من قبل الشعب ليعاونه في الحكم، ومقاومة الاحتلال الفرنسي مما اجبر الفرنسيين الى عقد معاهدة حررت سنة ١٨٣٤ ثم عقد معاهدة ثانية سنة ١٨٣٨ اعترفت بموجبها فرنسا للأمير بالسيطرة الكاملة على الجزائر عدا وهران وبليدة والقليعة ، غير ان فرنسا لم تلتزم ببنود المعاهدة فخرقتها واستمر الصراع بين الاعوام ١٨٣٩- ١٨٤٧ شارك الشعب الجزائري بالمقاومة بكل شجاعة وجرءة واخلاص وصدق الكفاح والتضحية ضد دولة استعمارية اوربية تريد ظم الارض الجزائرية الى حكمها واعتمدت كافة انواع العنف والقسوة حيث استقدمت قائداً سفاحا يدعى (بيج) مع جيش جرار يقوده مغامرون سفاحون احرقوا المحاصيل الزراعية واعتدوا على الحرمات

واسروا النساء والا طفال وبثوا الفتن بين ابناء الشعب الجزائري واخذ الجيش الفرنسي يتعقب الامير عبد القادر الذي اتخذ اسلوب العاصمة المتنقلة يسكن فيها مائتي الف مقاتل وعامل مزارع في ان واحد، وبما ان القوة الاستعمارية اكبر من المقاومة الشعبية الجزائرية بالعدد والعدة والتدريب من جهة وعدم مساعدة الدولة العثمانية للشعب الجزائري الذي يقوده عبدالقادر الجزائري، اضطر الامير عبدالقادر الجزائري الى الاستسلام سنة ١٨٤٧ ونفيه الى فرنسا ثم الى استنبول ومنها الى دمشق حتى وفاته سنة ١٨٨٣، الا ان المقاومة الجزائرية لم تتوقف بل اصبحت في تجدد دائم وثورات مستمرة ضد الاحتلال الفرنسي مثلاً:-

١- ثورة اولاد سيدي الشيخ سنة ١٨٤٨- ١٨٥٠ وثورة الاوراس وشمال قسنطينة.
٢- ثورة القبائل سنة ١٨٥١
٣- ثورة واحداث الجنوب سنة ١٨٥٢
٤- ثورة جبال البابور سنة ١٨٥٦
٥- ثورة لا لا فاطمة في جبال القبائل سنة ١٨٥٧
٦- ثورة اوراس سنة ١٨٥٨
٧- ثورة الشعبانية سنة ١٨٦١
٨- ثورة اولاد سيدي الشيخ في وهران وقسنطينة سنة ١٨٦٤
٩- ثورة محمد المقراني سنة ١٨٧١ التي لاتقل اهمية عن ثورة عبدالقادر الجزائري التي اخذت نطاق واسع اشترك فيها الشعب الجزائري للمطالبة باستقلال تام للجزائر بعد هزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ وكونها تعد اخر الثورات قبل ثورة التحرير الاخيرة التي قاتها الفصائل الجزائرية حتى التحرير والتي استمرت مابين ١٨٥٤- ١٨٦٢ .

سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر

تتلخص سياسة فرنسا في الجزائر باعتبار الجزائر امتداد لفرنسا في البحر المتوسط وان جبال فرنسا حسب ادعائهم تغور في البحر لتظهر مرة اخرى في جبال الجزائر فهي جزء مكمل لها لهذا شجعوا الفرنسيون والاوربيون التدفق نحو الجزائر بكل المغريات من الهجرة الجماعية والهجرة الفردية فصار استعمار احلال وليس استعمار احتلال وذلك لإحلال الشعب الفرنسي محل الشعب العربي الجزائري المسلم حيث بلغ عدد الأوربيين في الجزائر سنة ١٨٩١ حوالى ٥٣٠ الف نسمه وفي سنة ١٩١١ بلغ عدد الأوربيين حوالي ٧٥٠ الف نسمة وفي سنة ١٩٥٤ بلغ عدد الأوربيين نحو مليون نسمة في الجزائر، وقد سيطر المهاجرون على ٦٥% من الاراضي الخصبة مما اضطر الجزائريون الى الرحيل الى فرنسا للبحث عن عمل على اعتبار الجزائر جزء من فرنسا، وقد عمل الفرنسيون على تقسيم الجزائر الى وحدات سياسية واحتكروا مصادر الدخل فسيطروا على شتى المصادر الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وثروات معدنية، فصار دخل الفرنسي عشرة اضعاف دخل الفرد الجزائري، ومن سياسة فرنسا في الجزائر ان جعلت التعليم مجاني للأوربيين وحرمان الجزائريين من التعليم محاولة منهم لإضعاف الثقافة الاسلامية وفرض اللغة الفرنسية كلغة وحيده في الجزائر، أما سياسة فرنسا الادارية في الجزائر، فقد سلمت فرنسا ادارة المجالس والقضاء الى المستوطنين، حتى اصبح قانون الضرائب مجحف بحق العرب، ومن سياسة الاستعمار وضع تشريعات وقوانين تطبق

على اهل البلد ولا تطبق على المستوطنين واما التجنيد فقد فرض على الجزائريين ليحاربوا من اجل فرنسا بعيدا عن بلدهم الجزائر حتى صار المواطن الجزائري غريب في بلده، واما الحقوق فقد حرم منها الجزائريين وصار المستوطنون هم اصحاب الحقوق

سياسة الاستعمار الفرنسي في تونس

سيطرة الدولة العثمانية على تونس سنة ١٥٧٣ بقيادة سنان باشا العثماني وكان الحاكم العثماني يدعى (باي) وتعني السيد باللغة التركية وكانت سلطتهم وراثية كما هو في خلافة السلطان العثماني، كان البايات يحكمون تونس حكماً مستقلاً لكنهم يتبعون للدولة العثمانية وكان احمد باشا (١٨٣٩- ١٨٥٥) يرغب في اصلاح البلاد، ومن اصلاحاته انشاء مدرسة حربية دُعي اليها ضباط فرنسيين ليعملوا أساتذة فيها وانشأ مصنع حربي وقام الباي بتشجيع العلم، فزار فرنسا واعجب بها وبحضارتها المادية وقام ببناء قصراً يشبه قصر **فرساي** وقد ادى ذلك الى الترف والبذخ ادى الى وقوع تونس في ازمة ماليه ساعد على تفاقمها المغامرون والمتآمرون مع الاجانب من معاوني الباي وبعد احمد تولى باي تونس اخوه محمد الذي سار على ما كان يعمل به احمد من البذخ وهذا كان سبب في تدخل فرنسا وفرض سلطتها على تونس وذلك بجعل البلاد تحت طائلة الديون ومنح الاجانب وجالياتها في تونس حقاً مطلقاً في الاتجار وامتلاك العقار والاراضي ومساواتهم مع ابناء البلاد مما ادى الى التدخل الاجنبي.

تولى محمد الصادق بعد اخيه الحكم سنة ١٨٥٩- ١٨٨٢ وقد حاول محمد اتمام الاصلاح الا ان فرنسا كانت تراقب الامور عن كثب وتحارب كل خطوة اصلاحية وبالفعل تم حل المجلس الاستشاري الوحيد سنة ١٨٦٤ كما واتبع محمد الصادق سياسة الاصلاح عن طريق الوزير (خير الدين التونسي) الذي عمل على اخراج البلاد بثوب متقدم على منوال الدول الاوربية المتقدمة، فقد استطاع خير الدين نقل البلاد من الفوضى والظلم الى حالة الرخاء والضبط والنظام والرقي في كل مرافق الحياة محاولاً حفظ البلاد من الناحية السياسية داخليا والمحافظة على استقلالها التام من كل تدخل اجنبي غير ان الاطماع الاجنبية كانت تقاوم كل حالة اصلاح في المغرب العربي كله تمهيدا للسيطرة عليه وقد حيكت المؤامرات ولفقت التهم ضد خيرالدين فعزل من الوزارة سنة ١٨٧٧مما فتح السبل امام الاطماع الاجنبية على مصراعيها.

كانت ايطاليا وفرنسا تتسابقان في السيطرة على تونس فكانت ايطاليا تدعي احقيتها في تونس كون رعاياها هم الاكثرية في تونس الا ان قوة ايطاليا كانت اقل من القوة الفرنسية.

وافق مؤتمري مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ على اطلاق يد فرنسا في تونس لمواجهة بريطانيا التي اطلقت يدها في مصر وقد ساعدها على ذلك سيطرتها على الجزائر منذ سنة ١٨٣٠وعلى الحدود المشتركة بين الجزائر وتونس، لقد استخدمت فرنسا مبررات تسهل لها غزو تونس، مدعيه ان قبيلة الخمير هاجمت المستوطنين في الجزائر وسرقة منهم الابقار، وقد جهزت فرنسا جيشا ضخما على الحدود التونسية ليتابع سيره داخل الاراضي التونسية مستخدماً شعار تأديب قبيلة الخمير الا انها تخفي ما بداخلها وهو احتلال تونس، كما وارسلت اسطولاً بحريا لاحتلال ميناء **بنزرت** ثم اتجهت قواتهم نحو العاصمة لتفرض سيطرتها على الباي في ١٢ اذار ١٨٨١ واجباره على توقيع معاهدة **(باردو)** معاهدة صداقة وحسن الجوار بين تونس وفرنسا، غير ان فرنسا اخذت تشدد قبضتها على تونس عن طريق احتلال المواقع المهمة في تونس، وقد عقدت

معاهدة **المرسي الكبير** مكملا لنص معاهدة **باردو** وهذه كانت خطوة واضحة للسيطرة على تونس، وكانت ادعاءات فرنسا بان اجراءاتها مؤقته يمكن انهائها بعد ان تكون تونس قادرة على حفظ النظام، بقيت سيطرة فرنسا على تونس بشكل مباشر مع ابقاء اسم الباي حتى سنة **١٩٥٦** حين نالت تونس استقلالها.

السياسة الفرنسية في تونس

١- السيطرة السياسية المباشرة دون الغاء منصب الباي كما فعل في الجزائر
٢- تعيين مقيم فرنسي ليكون حاكم البلاد وسكرتير عام للحكومة التونسية وهو يشبه رئيس الوزراء
٣- اقامة مجلس شورى استشاري للرقابة المالية يشمل اصحاب المصالح الفرنسيين مهمته النظر في الموازنة والموافقة عليها
٤- وضع نظام اداري يخدم مصالح الفرنسيين وتسهيلات لرجال الاحتلال
٥- احتكار الادارة العامة والمناصب الكبرى بتعيين رجال عسكريين فرنسيين مسؤولين عنها
٦- وضع رقابة داخل البلاد بحجة تامين مصالح اصحاب الديون الاجانب الفرنسيين
٧- ادخال التعليم الفرنسي ليكون عونا لفرنسا في السيطرة على الشعب التونسي وقد انشأت مدارس لأبناء الفرنسيين ومنع التونسيين منها، وعملت على أضعاف الثقافة العربية الاسلامية وذلك بإدخال ابناء الطبقة الخاصة من العرب في المدارس الفرنسية ليكون المتخرجين منها جاهلين في لغتهم وتراثهم ومنع المدارس العربية

قاوم الشعب التونسي الاحتلال منذ سنوات الاحتلال الاولى وكانت اولى الثورات بقيادة علي بن خليفه سنة ١٨٨٢ الا ان الفرنسيين قضوا عليها وظهرت المقاومة مرة اخرى بظهور حركات سياسية كحركة تونس الفتاة التي تشبه حركة تركيا الفتاة الا ان هذه الحركة كانت مرفوضة من الشعب التونسي بسبب ايمانها بافتقار الثقافة الفرنسية لإعجاب اعضائها بالمدنية الفرنسية وقد ظهر بالمقابل رجال الحركة الوطنية خريجو جامع الزيتون وجامعته، وهؤلاء اشد اعداء الفرنسيين، فحملوا شعلة التحرير في المغرب، مع محافظتهم على التراث الاسلامي واللغة العربية ولهم ارتباط بالحركة الاسلامية في المشرق الاسلامي

وخلال الحرب العالمية الاولى وقف التونسيون الى جانب فرنسا أملا في استقلال تونس وحق تقرير المصير فنشأت حركة الاستقلال بزعامة عبدالعزيز الثعالبي الذي نال تأييد الشعب التونسي وكان اعضائه من خريجي جامع الزيتون الذي تجاوب ومطالب الشعب التونسي ثم ظهور حركة محمد المزالي التي نادت بفكرة الحل السياسي الجماعي ومنها حركة طاهر الحداد الذي نادى بالإصلاح الثوري بقيام صراع بين المجتمع القومي والرأسمالية الاستعمارية كما وظهرت حركات عمالية نادت بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي تدعمها خبرات النضال السياسي والمقاومة الوطنية وقد استطاعت تأسيس نقابات لكثير من الاعمال والمهن وأخيراً أقام حزب الدستور الجديد الذي مثل حركة شعبية شاملة وكان اعضاءه من ابناء الطبقة الوسطى والكادحين وكانت اهدافه تميل الى الاستقلال والتحرير وفي نهاية الحرب العالمية الثانية طالب التونسيون بحق تقرير المصير بناء على وعد من حكومة فرنسا الحرة الا ان الحكومة الفرنسية قامت سنة ١٩٤٦ باعتقال الرجال الوطنيين من حزب الاستقلال والنقابات العمالية خلال انعقاد

مؤتمر وطني بهذا العمل فقام الشعب التونسي بثورة وهياج شعبي وقد عرض الشعب التونسي قضيته على هيئة الامم المتحدة عام ١٩٥١- ١٩٥٢ واخيرا اضطرت فرنسا تحت الضغط العالمي من جهة، وكفاح الشعب التونسي من جهة اخرى الاعتراف باستقلال تونس في ٢٠ اذار ١٩٥٦ مع ابقاء قواعد فرنسية في تونس تخلصت منها تونس سنة ١٩٦٣.

الاستعمار الفرنسي والاسباني في المغرب (مراكش)

كان يحكم المغرب عائلة من الاشراف منذ بداية القرن السابع عشر وكان من بين سلاطينها (مولاي) عبد العزيز سنة ١٨٩٤- ١٩٠٨ وقد تجلا عهده بضعف الادارة والانصراف الى اللهو والترف وفرض الضرائب الباهظة ولجوئه الى الاستدانة من الدول الاوربية، وكانت فرنسا اكثرها واكثر تشجيعا للسلطان مولاي على الاقتراض والتورط في الديون التي كانت النشاط الظاهري لفرنسا من اجل مد نفوذها الى المغرب على الرغم من كون فرنسا احد الدول الموقعة على معاهدة **مدريد** سنة ١٨٨٠ التي تنص على استقلال المغرب فعقدت معاهدات مع الدول الاخرى كالاتي:-

١- عقد معاهدة سرية مع ايطاليا سنة ١٩٠١ لتطلق يدها في ليبيا مقابل اطلاق يد فرنسا في المغرب
٢- عقد اتفاقية مع اسبانيا سنة ١٩٠٤ تنص بنودها السرية على اقتسام المغرب
٣- عقد اتفاقية مع بريطانيا سميت (بالاتفاق الودي) سنة ١٩٠٤ اطلقت يد بريطانيا في مصر مقابل اطلاق يد فرنسا في المغرب

أهملت فرنسا الامبراطورية الالمانية التي تتطلع للسيطرة على اجزاء من افريقيا مما ادى الى قيام امبراطور المانيا بزيارة السلطان مولاي سنة ١٩٠٥ معلنا في طنجة وجوب المحافظة على المغرب وقد اقتنعت المانيا وامريكا عن وجوب عقد مؤتمر دولي يبحث امور المغرب فانعقد المؤتمر في الجزائر على الجانب الاسباني تمخض المؤتمر عن مقررات منها استقلال المغرب وسيادة سلطانه مع انشاء قوة بوليس فرنسية مغربية احتفظت فرنسا بنواياها نحو المغرب فاتفقت سراً مع بريطانيا وايطاليا واسبانيا فاستقلت مقتل طبيب فرنسي في جنوب مراكش فاحتلت مدينة وجدة في شرقها ثم تعللت اسباب اخرى لمد نفوذها الى المغرب اثر اعتداء بعض المواطنين في الدار البيضاء على عمال أوربيين فاحتلت الدار البيضاء ثم الرباط ثم زادت سيطرتها بحجة ضمان ديونها التي أغرقت البلاد، وقد أظهرت المانيا اعتراضها فسوي الامر سنة ١٩١١ بإعطاء المانيا جزء من المستعمرات الفرنسية الى المانيا على ان تبقى طنجة تحت ادارة دولية.

سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب

كانت سياسة فرنسا في المغرب تعتمد على الحكم المحلي الشكلي الا ان السلطة الحقيقية كانت بيد الادارة الفرنسية وقد شجع الفرنسيون هجرة الاوربيين الى المغرب وبنوا لهم مدنا مستقلة بجوار المدن القديمة ثم عملت الحكومة الفرنسية على التفرقة بين العرب والبربر بإظهارها الشخصية البربرية عندما أصدر مرسوم (الظهير البربري) الذي نشر سنة ١٩٣٠ وهو قانون يوصل تقاليد البربر القديمة وعاداتهم لتحل محل التشريع الاسلامي وهذه سياسة ارادتها فرنسا

لتبث التفرقة بين العرب والبربر من اجل فصل البربر عن دينهم ليسهل ضمها الى فرنسا كما وعملت فرنسا على تعيين الفرنسيين في الوظائف والمناصب الكبيرة ولم تترك للمغاربة سوى المراكز الصغيرة فبدأت المقامة المغربية ضد الفرنسين وكان عبد الكريم الخطابي الشخص الذي اشعل نار المقاومة منذ سنة ١٩٢١ ضد فرنسا واسبانيا فقد بدأت ثورة الريف المراكشي ضد النفوذ الاسباني وتم تعقب القادة الاسبان حتى جلاء الاسبان من المغرب والتقدم نحو المنطقة الغربية للمغرب.

اتبعت فرنسا اسلوب تقسيم القبائل المتحالفة معها بالرشوة والانقسام العرقي الامر الذي ادى الى استسلام عبدالكريم الخطابي ونفيه الى احدى الجزر النائية ومن ثم التجأ الى مصر سنة ١٩٤٧ ومن هناك استمر في متابعة نشاط المقامة المغربية لتحرير المغرب وكان عبدالكريم مثالا يقتدى به من قبل الحركة المغربية الهادفة الى استقلال المغرب ومن ثم تم تأسس حزب الاستقلال سنة ١٩٤٣ تزعمته الحركة القومية في المغرب رغم تعسف الفرنسيين وكان حزب الاستقلال وحزب الوفد المصري وحزب الدستور في تونس الذين حملوا لواء العمل من اجل الاستقلال ومن ثم تكونت جبهة مغربية موحدة سنة ١٩٥١ تزعمها السلطان محمد بن يوسف المعروف محمد الخامس الذي ايد استقلال المغرب غير ان الادارة الفرنسية عزلته سنة ١٩٥٣ وعينت السلطان محمد بن عرفه ليكون اداة طبيعية بيدها الامر الذي ادى الى قيام ثورة عارمة وتخريب املاك الفرنسيين بالإضافة الى الضغط العربي والعالمي على فرنسا فعزلت محمد بن عرفه واعادت محمد الخامس سنة ١٩٥٥ واستمرت المقاومة حتى اعلان فرنسا استقلال المغرب سنة ١٩٥٦ وانهاء نظام الحماية الذي دام ٤٤ سنة ثم انتهاء حماية فرنسا وانتهاء حماية اسبانيا على الريف المغربي.

- المحاضرة التاسعة

الموضوع/ الاحتلال الايطالي الى ليبيا

سيطرت الدولة العثمانية على ليبيا سنة ١٥٥٦ وقد حصلت ليبيا على استقلال داخلي حتى سنة ١٨٣٥ عندما غزوها الايطاليون في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ولكن عندما سقطت الاقطار العربية تحت النفوذ الغربي تمسك الليبيون بانتمائهم الى الدولة العثمانية باعتبارها الدولة المسلمة الوحيدة القادرة على الدفاع عنها والوقوف بوجه الدول الاوربية ولان الحركة السنوسية في ليبيا كانت ذات طابع اسلامي شامل يهدف الى إيقاض الامة الاسلامية.

أدى ضعف الدولة العثمانية الى دفع الدول الاوربية للتخطيط من اجل اقتسام تركة الدولة العثمانية التي اطق عليها في سنواتها الاخيرة(الرجل المريض) حيث كانت انكلترا وفرنسا أول المخططين ثم التحقت ايطاليا في حلبة السباق، فبدأت بالتغلغل في ليبيا عن طريق البعثات العلمية التي تعمل على نشر النفوذ العربي (بعثة الفرنسيسكان) وقد قُوبلت بالتسامح الديني، وعندما توحدت ايطاليا سنة ١٨٧٠ أخذت تتدخل في ساحل البحر الاحمر الافريقي وقد احتلت أرتيريا سنة ١٨٨٥ وبدأت بفتح المدارس للتوغل في ليبيا من باب خفي عن طريق نشر ثقافتها أولاً ، ثم أنشأت المستشفيات، وقد حصلت على امتيازات بتأسيس فرع لبنك روما في طرابلس و برقة سنة ١٩٠٥ ، كما ونَشطَتْ الزراعة للإغراق اصحابها بالديون ثم بدأت تتحين الفرص لإكمال مشروعاتها في احتلال ليبيا، وعملت على اتهام الدولة العثمانية صاحبة النفوذ في ليبيا

بالعدوان ومقاومة النشاط الايطالي واضطهاد الرعايا الايطاليين ومصالحهم، وقامت بتقديم انذار الى الدولة العثمانية تطالب فيه احتلال ليبيا وضمها الى ايطاليا وبعدها سيتم النظر في موضوع تسوية الاوضاع بين الطرفين.

كانت ردود الدولة العثمانية ضعيفاً مما شجع ايطاليا الى ارسال بيان في ٢٩ أيلول ١٩١١ الى الدولة العثمانية مضمونه اعلان الحرب وبدأت فعلا باحتلال طرابلس ثم اتجهت نحو برقة واحتلتها ثم احتلال طبرية ثم بنغازي، ولكن الشعب الليبي لاسيما السنوسية فقد اعلنوا الجهاد ضد إيطاليا بقياد العربي عزيز علي المصري والليبي عمر المختار.

ولتلافي المقاومة اعلن نشر الإيطاليين بدعهم بأنهم جاءوا الى البلاد ليخلصوا الشعب الليبي من ظلم الاتراك وليعطوا الناس حريتهم الدينية والاجتماعية وفي القت الذي نشر فيه الاعلان قام القائد الايطالي بقتل ثوار المقاومة الليبية، غير ان المقاومة نشطت بشدة وقد اشترك فيها الشعب الليبي وبقايا العثمانيين مع رجال الحركة السنوسية واتحدوا جميعا بقوة رجل واحد من اجل تخليص البلاد من الاحتلال الايطالي وانشرت المعارك في كل مكان واستعمل رجال المقاومة اساليب الكر والفر وهي اساليب القتال الشعبي، حيث كانت الدولة العثمانية مشغولة بأحداث البلقان وعدم قدرتها على مساعدة الشعب الليبي في مقاومة الاحتلال الايطالي بسبب ضعفها فتفاوضت مع الحكومة الايطالية واجبرت على توقيع معاهدة لوزان سنة ١٩١٢ اعترفت بموجبها بالاحتلال الايطالي في ليبيا الا ان المقاومة الشعبية حصلت على مساعدة من العرب والمسلمين ولم تترك لوحدها في مقارعة الاحتلال الايطالي بل ساعدوها في كل مكان فترددت اصداء الدعوة بالجهاد في الجزيرة العربية ومصر وسوريا فقاد المقاومة خلال الحرب العالمية الاولى احمد السنوسي واما ايطاليا فقد استعانت بالاستعمار الاوربي لاسيما بريطانيا مما جعل كفة القتال لصالح الايطاليين وكانت بريطانيا قد احرزت النصر في الحرب وانحيازها الى تركيا فانتقلت قيادة المقاومة الى محمد بن ادريس السنوسي.

وقد اتفق محمد السنوسي مع المستعمر الايطالي على اقتسام البلاد بسبب الامراض والمجاعة التي انتشرت بين المواطنين في المنطقة الصحراوية ، واستعمال ايطاليا اسلوب الحكم المباشر على ليبيا وذلك بإصدار قانون جعلت السلطة والسيادة بيد الايطاليين مع تعيين حقوق المواطنين الليبيين وواجباتهم، وفي سنة ١٩٢٠ اعترف الايطاليين بالسنوسي حاكما مدنياً وزعيماً للقسم الداخلي في برقة ومنح القائد السنوسي لقب أمير فقسمت على اساسها برقة بين الطرفين فأصبحت السواحل الايطالية من حصة بريطانيا واما الداخل فمن حصة الامير السنوسي، الا أن المقاومة الشعبية رفضت الاتفاق واستمرت بالجهاد حتى اضطر السنوسي الى الانضمام في صفوف المقاومة وقائدها في الداخل عمر المختار وقد سجل المجاهدون الليبيون انتصارات عظيمة ببسالة قيادتهم ولما اشتد ضغط المجاهدين اضطرت ايطاليا الى قبول المفاوضات مع عمر المختار وقبول شروطه، الا انها انقضت الاتفاق لاحقاً وحشدت قواتها ضد المقاومة فأسقطت عمر المختار ليكون اسيراً لدى القوات الايطالية وحوكم سنة ١٩٣١ وبموجب محاكمة صورية تم اعدامه.

كانت محاكمة المختار دليل على وحشية المستعمر الايطالي بحق عمر المختار الذي كان يتمتع بأروع معاني الايمان والشجاعة والصبر والكرامة حيث استقبل حكم الاعدام وهو شيخ

كبير بقوله (انا لله وانا اليه راجعون) وقد استمرت المقاومة بعد اعدام المختار حتى انهزام ايطاليا في الحرب العالمية الثانية وخروجها من ليبيا في كانون الاول ١٩٤٣ .

اهداف الاستعمار الايطالي في ليبيا

١- ايجاد مستعمرة قريبة من ايطاليا لينتقل اليها الايطاليون ليعيشوا عيشة مسقرة وتخفيف الضغط السكاني في ايطاليا.
٢- استثمار اراضي جديدة لسد حاجة ايطاليا من المواد الغذائية.
٣- فتح اسواق جديدة امام المنتجات الايطالية.
٤- محاولة الزعيم الفاشيستي موسوليني ظم ليبيا الى ايطاليا الام بموجب مرسوم جمهوري اصدره سنة ١٩٣٩ وتم منح الجنسية الايطالية للمواطنين الليبيين وذلك باتباع سياسة التجنس الايطالي لليبيين وهذا يشابه عمل فرنسا في الجزائر وتونس.

الاساليب التي اتبها الايطاليون في حكم ليبيا

كانت اساليب ايطاليا تعتمد على سياسة البطش الوحشي للمجاهدين الليبيين وهذا لا يمت للحضارة التي ادعوها وكان اعدام المجاهدين الليبيين بالجملة وكان حكمهم يتم بالضن والتنفيذ خلال دقائق معدودة وقد اقامة معسكرات لاعتقال الليبيين في كل مكان ثم قاموا بمصادرة جميع الاراضي الخصبة وجلب نصف مليون مستثمر ايطالي لاستثمار الاراضي الزراعية الليبية الساحلية الخصبة ولم يترك للسكان الليبيين سوى الاراضي الصحراوية ليعيشوا عليها.

أما الوعود الكاذبة التي اعطتها لليبيين لاسيما وعود استقلال ليبيا لم تنفذها ولم تصدق بوعودها مما حدا بالشعب الليبي ان ينظم نفسه للكفاح من اجل نيل الحرية والاستقلال الذي حاربوا وضحوا من اجله فتشكلت هيئات عدة من الشعب الليبي تنادي بمطلب واحد هو الوحدة والاستقلال فاجتمع المؤتمر الوطني في العاصمة طرابلس سنة ١٩٤٩ معلناً استقلال ليبيا ووحدتها تحت الزعامة السنوسية وفي الوقت نفسه عُرضت القضية أمام الامم المتحدة التي اصدرت قراراً باستقلال ليبيا بدولة موحدة فحصل الاستقلال سنة ١٩٥١ كدولة اتحادية بعد فترة انتقالية.

- المحاضرة العاشرة

الموضوع/ اصلاحات محمد على باشا في مصر

أراد محمد علي تكوين مصر دولة قوية مستقلة، واراد مصر لان تكون نواة دولة عربية قوية تضم جميع البلاد العربية التي يتحدث اهلها باللغة العربية وعلى هذا الاساس اعاد بناء مصر وفق اسس وتنظيمات حديثة تواكب التطور الذي كان سائداً في الدول الاوربية فقام بالإصلاحات الاتية: -

أ- الادارة:-

عمل محمد علي على تنظيم الادارة فقسم البلاد الى مديريات تتفرع الى مراكز وأنشاء عدة دواوين وعلى راس كل ديوان ناضر، واوجد المجالس لبحث شؤون الدولة وقد اعتمد محمد

علي على اليهود والنصارى والاقباط في المناصب العليا في بداية حكمه، لكنه تخلص منهم فيما بعد، وقد انهى الدور المالي للأقليات الدينية في مصر بعد تحكم دام عدة قرون، وقد ادخل عنصر الشورى وشكل العديد من المجالس والدواوين لدراسة المشاريع قبل عرضها عليه، ومنها الديوان العالي، ويجتمع رؤساء هذه المجالس على شكل مجلس شورى الدولة.

ب- الجيش

أدرك محمد علي انه لابد من جيش قوي يمكن بواسطته تحقيق اهدافه وحماية حقوق دولته ليضمن الاستقلال التام وانجاز الطموحات التي كان يتطلع اليها محمد علي باشا.

وقد بدأ محمد علي الحد من سلطة الجنود الالبان، والقضاء على بعض المتمردين وتشتيت العدد الباقي في مراكز وحصون متناثرة في البلاد واخذ بإعادة تنظيم الجيش وقد استعان سنة ١٨١٩ بأحد الضباط الفرنسيين الذي اسلم وبقي في مصر بعد انسحاب الحملة الفرنسية من مصر وهو الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنسي) وقد عينه في الجيش المصري ثم كلفه بتكوين جيش مصري حديث.

وقد حاول زيادة عدد الجيش بتجنيد السودانيين من اهالي كردفانا وسنار في الجيش المصري غير انهم لم يحققوا اماله وذلك لقلة عددهم فاستخدم المصريين في زيادة عدد الجيش وقد اوفد البعثات العسكرية الى اوربا لاقتباس الفنون العسكرية الحديثة كما واستقدم عدد من المدربين لتدريب الجيش المصري على مختلف صنوف الاسلحة وأنشاء المدارس العسكرية الحربية كمدرسة المشاة، ومدرسة الفرسان والمدفعية واركان الحرب.

أتجه محمد علي لأنشاء اسطول قوي وكبير فقد اشترى سفن حربية من الخارج وقام بأنشاء السفن التي بناها في الداخل وأسس ترسانة (دار صناعة) بحرية على ساحل (بولاق) وكانت اجزاء السفن تُنقَل براً الى السويس ثم تُجمع هناك وأنشأ دار للصناعة البحرية في الاسكندرية وأنشأ مدرسة لتخريج الضباط البحريين وأقام عدة صناعات حربية لإنتاج الاسلحة من ذخيرة ومدافع أضافة الى الصناعات الاخرى التي الحقت بالترسانة كصناعة البوصلات وسكب الحديد والنظارات والالبسة والمخازن الاخرى.

ج- التعليم:

إهتم محمد علي بالتعليم بعد الحملة الفرنسية على مصر (حملة نابليون) التي فتحت العيون تجاه العلم واحتياج الجيش الى انواع الثقافات المدنية والعسكرية فقد أنشأ محمد علي المدارس لتخريج المثقفين للعمل في الدواوين وشؤون الدولة، ولحاجة الجيش ارسل البعثات الى فرنسا فكانت اول بعثة تتكون من (٤٠) شاب سنة ١٨١٣م وتزايد المبعوثون فيما بعد وبعد ان اكملوا دراستهم وعادوا الى البلد حلوا محل الاجانب الذين كانوا يشتغلون بالمناصب العليا في الدولة وقد نجح المبعوثون في مهمتهم ومن هؤلاء المبعوثين علي مبارك و رافع الطهطاوي.

أنشأ محمد علي مجموعة من المدارس العليا مثل مدرسة الطب ومدرسة الهندسة والصيدلة والزراعة ومدرسة الالسن والمدارس الحربية المختلفة كما وأنشئ عدد من المدارس الابتدائية

والثانوية وأعتنى بالأزهر الذي كان معينا يستمد منه حاجاته من الطلاب لتغذية المدارس العليا ليكونوا اعضاء البعثات التي ترسل الى الخارج لأغراض الدراسة.

أسس محمد علي المطبعة الاميرية سنة ١٨٢٨ وأصدر أول صحيفة رسمية باللغة العربية (الوقائع المصرية) واصدر صحف باللغة الفرنسية، وقامت المطابع بمهام طبع لوائح الحكومة والكتب في مختلف الفروع كالطب والرياضيات والفقه.

د- الاقتصاد:

عندما قضى محمد علي على المماليك حل هو محلهم في السيطرة على الاراضي الزراعية التي كانت خاضعة لهم، والغى الاوقاف وملتزمي الاراضي فأصبحت جميع الاراضي الزراعية مملوكة للدولة تستغلها لحساب المصلحة العامة، وصارت العلاقة مباشرة بين الحكومة والفلاحين وقد استثنى محمد علي بعض الاراضي من ملكية الدولة لاسيما التي منحها الى كبار الموظفين ورجال الجيش (الأبعاديان).

وقام محمد علي بعدة اصلاحات في الزراعة فنظم الري، وأقام القناطر الخيرية على راس الدلتا لتنظيم توزيع المياه على فرعي النيل ودمياط والرشيد، وأنشأ الترعة المحمودية في البحيرة والتي نسبت الى(السلطان محمود) والترعة المنصورية بالدقهلية ومجموعة من القناطر والترع والجسور.

أدت تلك الاعمال الى ازدياد الاراضي الزراعية وأنشأ بعض المدن الحديثة مثل مدينة (الزقازيق) التي أنشأت بمناسبة أنشاء قناطر بحر مويس، وأدخل زراعة القطن والدخان واشجار الزيتون والقنب والنيلة وقصب السكر، ووقد احتكر الزراعة والغى نظام الالتزام وأعاد تنظيم الضرائب.

هـ- الصناعة والتجارة والمواصلات:

أهتم محمد علي في الصناعة فقد ادخل مجموعة من الصناعات الهامة مثل صناعة الغزل والنسيج وسكب الحديد والسكر والورق والزجاج والصابون اضافة الى مصانع الاسلحة وقد احتكرت الدولة صناعات الحرير والكتان والخيش والحصر.

أما التجارة فقد انتعشت كثيراً وذلك بسبب تطوير الزراعة والصناعة فازدادت صادرات البلاد وقد ساعد ذلك على كثرة الطرق التي مهدت في عهد محمد علي لاسيما الطرق البرية واصلاح المواصلات والموانئ مثل ميناء الاسكندرية وأقام أسطول تجاري وتأسيس شركة مصر للملاحة، وقد احتكرت الدولة اغلب تجارت الصادرات لاسيما تجارة القطن والبن والنيلة

- المحاضرة الحادية عشر

الموضوع/ اصلاحات مدحت باشا في العراق

ولد مدحت باشا في الإستانة في صفر من عام ١٢٣٨هـ ١٨٢٢م لأب من القضاة يدعى الحافظ محمد اشرف وقد أكمل تعليمه بدراسة اللغة العربية وحفظ القران الكريم وتعَلم اللغة

الفارسية والخط ومبادئ العلوم الاخرى على يد بعض علماء الدين، وانخرط في سلك الوظائف الحكومية فعين كاتب في احدى الدوائر الحكومية في العاصمة العثمانية ثم عمل في دمشق و قونية وتدرج في سلم الوظائف.

وفي مطلع ستينات القرن التاسع عشر برز مدحت باشا كموظف قدير من موظفي الدولة في ايالاتها الاوربية فعين سنة ١٨٦١ في منصب (باشا نيش) وكان أول منصب له من هذا النوع وعلى ضوء نجاحه في ادارة إيالة نيش وبعد ان استمر في وظيفته زهاء ثلاثة اعوام في نيش أُستدعي من قيل الصدر الاعظم فؤاد باشا ليشاركه في وضع بنود (نظام الولايات) على ضوء تجاربه الناجحة في ادارة ايالة نيش وقد نشر هذا النظام في اواخر ١٨٦٤وأُرسل مدحت باشا لتولي شؤون ولاية (الطونة) ويقوم بتجربة تطبيق نظام الولايات الجديد في الطونة التي تتألف من مجموع الولايات القديمة (سلسترة- ويدين- نيش) وجعل له اثر في تطبيق نظام الولايات في الطونة واستمر منصبه كوالي الطونة حتى أوائل ١٨٦٨ وقد انجز اعمال اصلاحية في جميع ارجاء الدولة .

في اوائل ١٨٦٨ أُستدعى مدحت باشا الى العاصمة الإستانة من قبل الصدر الاعظم فؤاد باشا وأُسندت اليه رئاسة (مجلس شورى الدولة) ولكن مدحت باشا لم يستمر طويلا في منصب رئاسة مجلس شورى الدولة حيث اضطر الى تقديم استقالته من هذا المنصب بسبب الخلافات التي نشبت بينه وبين الصدر الاعظم (عالي باشا) الذي اعتلا المنصب بعد وفاة فؤاد باشا ويقال ان وصول مدحت باشا الى منصب رفيع في الدولة جعلت منه منافس بارز لمعالي وأَعده ابرز منافسيه مما دعي مدحت باشا الى تقديم استقالته ويقال ان عالي باشا كان شديد الكراهية لمدحت باشا في عهد فؤاد باشا الا انه لم يظهرها في وقتها مجاملةً منه ولكن بعد وفاة فؤاد باشا كبح حمام كراهيته الى مدحت باشا.

وفي شباط ١٨٦٩ عين واليا على بغداد بعد قبول استقالته من منصبه رئاسة مجلس شورى الدولة مباشرة وقد وصلها في ٣٠ نيسان ١٨٦٩ مصطحباً معه عدد من الموظفين اختارهم مدحت باشا بنفسه لمساعدته في ادارة شؤون الولاية وإصلاح أوضاعها وأعادت تنظيمها الاداري، وقد شهدت بغداد في عهده تقدماً كبيراً في كافة المجالات نظراً لما يتمتع به من صدق وإخلاص وأمانة في اداء اعماله وأدب متواصل على انجازاته وهذا يعود الى قدرته الادارية ومواهبه الشخصية التي أتصف بها.

وقد شرع مدحت باشا في ادخال الاصلاحات في ولاية بغداد منذ اليوم الاول من وجوده فيها ومن اصلاحاته تلك التي قام بها هي: تطبيق نظام الولايات الصادر سنة ١٨٦٤ حيث قسم الولاية الى سناجق وقسم السناجق الى اقضية وقسم الاقضية الى نواحٍ، وعين موظفين اداريين على رأس كل وحدة ادارية وأنشأ العديد من الادارات الحكومية لاستكمال شكل الجهاز الاداري الرسمي وحرص على تقاضي جميع الموظفين رواتبهم في مواعيدها المقررة، وأن لا يوظف أحد من صنائع الوجهاء في الدوائر الرسمية، وشيد الابنية لعدد من دوائر الدولة، ومن تلك الدوائر التي شيدها (دائرة الطابو أو الدفتر خان)، التسجيل العقاري، ودوائر النفوس (الاحوال المدنية) ودوائر النافعة (الاشغال العامة)، ودوائر بلدية في المدن المهمة من مدن الولاية، وتشكيل مجلس المعارف.

وإعادة تنظيم الدوائر الاخرى، مثل الادارة النهرية التي كانت تعرف (ادارة عمان-العثماني)، ومحاكم الولاية، وأنشاء مجالس أداريه في بقية الوحدات الادارية وفقاً للترتيب الذي نص عليه نظام الولايات لسنة ١٨٦٤ كما وادخل نظام الولايات في المناطق التي ضمها الى ولاية بغداد(مشيخة المنتفك- منطقة الاحساء- نجد- سواحل الخليج العربي)، وقد أوجد في ٢٥ اب ادارة حكومية في المناطق التي كانت تخضع لمشيخة المنتفك عقب نجاحه في الغاء هذه المشيخة، وكون سنجق المنتفك وبنى مدينة الناصرية لتكون مركز للسنجق، وأشرف على تنظيم أمور الاحساء ونجد وسواحل الخليج العربي في اواخر ١٨٧١ عقب اعادة تلك المناطق الى الدولة العثمانية، وكونَ سنجق الاحساء الذي أبدل أسمه الى سنجق نجد، وهذه الاعمال كانت كما فعله في الطونة.

كان مدحت باشا يقوم بعزل ومحاكمة كل من يثبت تقصيره في عمله أو الاختلاس أو تعاطيه الرشوة، كما وقام بإخضاع العشائر الثائرة والعشائر الممتنعة عن دفع الضرائب كعشائر الهندية وعفك تلك العشائر التي قتلت متصرف سنجق الحلة اثناء ذهابه لجمع الضرائب المستحقة للدولة وانتصر عليهم في موقعة الدعارة أو مذبحة المتصرف كما كان يسميها الاهالي وقضائه على اعمال السطو والسرقة وعمليات السلب التي يقوم بها اللصوص وقطع الطرق حيث قام بتأمين طرق السير الداخلية والخارجية البرية منها والنهرية، وعمل على توطين العشائر عن طريق تمليكها الاراضي الزراعية من خلال تطبيق قانون الاراضي ونظام الطابو الصادر سنة ١٨٥٨وعدبهذا يمكن حصر اعماله كالاتي:

١- اصلاح النظام المالي والادارة المالية للولاية والغاء بعض الرسوم والضرائب المحلية التي وصفها بأنها معوق ومضايقة مثل رسوم الاخشاب وضريبة (الطالبية) وهي ضريبة تفرض على المراكب التي تعمل في الانهار وضريبة (ورؤوس البقر)وهي التي تفرض على الآلات التي ترفع الماء من الانهار والجداول الى الاراضي الزراعية وتسمى في العراق بـ(النواعير) وضريبة خمس الحطب وفي اب ١٨٧٠ اعلن عن اعفاء بذور قصب السكر الواردة الى الولاية من ضريبة الرسم الجمركي لغرض تشجيع زراعة وانتاج السكر.
٢- تقوية الجيش وتنظيمه وتطبيق قانون الخدمة العسكرية الالزامية وقد لاقى هذا القانون معارضة قوية ولكن تم تطبيقه بصعوبة.
٣- الاهتمام بالطرق والمواصلات حيث فتح عدد من الطرق البرية ونظم اعمال ادارة البواخر الحكومية التي عرفت بـ(الادارة النهرية) وأنشاء معمل لإصلاحها في البصرة وطهر نهري دجلة والفرات.
٤- أنشاء المدارس الحديثة مثل المدرسة الرشيدية المدنية والمدرسة الرشيدية العسكرية ومدرسة الصنائع التي افتتحها في بغداد.
٥- تأسيس أول مطبعة الية في بغداد وإصدار أول صحيفة أسماها جريدة الزوراء وجاء في اطار تطبيق بنود نظام الولايات الصادر سنة ١٨٦٤ في ولاية بغداد حيث نصت المادة على انشاء مطبعة في مركز كل ولاية.
٦- بناء مستشفى عام في الجانب الغربي من مدينة بغداد الكرخ عن طريق جمع التبرعات من الاهالي سمي مستشفى (الغرباء).

٧- أقام مصنع للنسيج لإنتاج اللابس والبطانيات لجنود الفيلق السادس سمي بـ (العبا خانة).
٨- ربط مدينة بغداد بضاحيتها قضاء الكاظمية بواسطة خط (للترام) وهو عبارة عن عربة تجرها الخيول.
٩- أنشاء صندوق (الابنية) وهو مؤسسة مصرفية حكومية تقبل الودائع المالية وتمنح اصحابها فوائد محددة وتقوم بإقراض المزارعين مبالغ مادية بفائدة معينة.
١٠- عبد الشوارع الصغيرة في مدينة بغداد وأضاءت بعض شوارعها وفتح حديقة عامة عرفت (حديقة ملت باغجة سي) وجلب مضخة لرفع المياه من النهر وتوزيعها على بيوت المدينة.
١١- تمصير مدينتي الناصرية والرمادي.

وقد قدرت المبالغ التي انفقها مدحت باشا على الاعمال العامة التي انجزها في ولاية بغداد حوالي (ستة ملايين ليرة عثمانية) وقد وجهت كثير من الانتقادات الى سياسة مدحت باشا في ولاية بغداد كونه كان يرتكب اخطاء كثيرة من جراء ثقافته التي يسودها النقصان لاسيما انه شديد الشغفة وميال نحو الافكار التحررية وحبه للحضارة الغربية .

كان مدحت باشا كما ذكر عنه منهمكاً بالخمور وميالا الى الفجور وملتحفاً بالرياء ومتلونا بينما كان هو كثير التردد الى المسجد ويقرأ القران فهو يمنع المرأة من سماع الوعظ في رمضان مدعيا ان وجود المرأة في المساجد يقدح من غيرة الاماجد وكان يأمر النساء بالحضور في الحدائق.

يقال بانه لم يشرك العراقيين في ادارة بلادهم ولم يسمح لهم تقلد الوظائف الكبيرة وسمح لهم بالوظائف الصغيرة ، وذكر انه بعد مغادرة مدحت باشا ولاية بغداد اهملت العديد من أعماله العمرانية وقد اهملت المكائن التي ترفع المياه من النهر لتزويد البيوت والحدائق كما واهملت المكائن التي جلبها لاستخراج البترول.

- المحاضرة الثانية عشر

الموضوع/ الانقلاب العثماني وتطور الحركة العربية

جماعة تركيا الفتاة

بعد صعود نيازي بك الى شعب الجبال مع انصاره وتزايد الاضطرابات في مقدونيا فقد اخذ شبان من الجيش الثالث حذوا البكباشي وظهور حركة الاتحاد والترقي التي تدعم حركة الشبان فتحرك عبد الحميد وفي مستهل شهر يوليو ١٩٠٨ مع تزايد الاضطرابات ضد عملاء القصر فقرر عبد الحميد ارسال ١٨٠٠ جندي الى الاناضول ومقدونيا لأقصاء الحركة غير ان الجيش بدلا من محاربة الحركة انضم اليها وقد اعتبر ذلك نقطة تحول في الثورة فكان الضباط المنتمين الى حركة تركيا الفتاة مناسبة غير عادية في مقدونيا خاضعة للجماعات الثائرة ويدل انضمام الجنود الأناضولية الى الجماعات الثائرة على ان زمام الامور يفلت منذ ذلك الحين من ايدي القصر وبين ٢٠- ٢٣ يوليو ظهور عدد من التمردات التي ينتمي اليها الضباط والعناصر المدنية من المسلمين والتي تنظمها لجنة الاتحاد والترقي سوف تنشب في موناستير و سيريس و

اوسكوب و فيرزيك وقد انهمزت على يلديز عدد من البرقيات تطالب العمل بالدستور بينما يهدد الجيش بالزحف على اسطنبول ان لم يرضخ السلطان ، وقد امتثل السلطان للأمر وفضلا عن ذلك تم اعلان الدستور بشكل عفوي في موناستير وفي عدد من مدن اخرى من مقدونيا وفي ٢٤ عمت الفرحة الكبرى في اسطنبول عن الاستبداد الحميدي وطافة المسيرات في اسطنبول حيث ان الناس المنتمون الى جماعات الفتاة من الارمن واليونانيون والبلغاري والاتراك والالبان يتبادلون التهنئة ويتعانقون وفي بعض المدن العربية وقد اعلن انور بك (لقد عالجنا الرجل المريض)وبزغ من جديد فجر جديد مع العمل بالدستور

اتيح مناخ يوليو ١٩٠٨ للنساء المسلمات فرصة الاعراب عن طموحاتهن وقد فوجئ بروز ثورة تركيا الفتاة للنساء خلال ايام الثورة فقد شاركن مظاهرات الفرح الاولى في ٢٧ أيلول ١٩٠٨ فاجتزن شوارع المدينة في عربات مزينة بشعارات حركة تركيا الفتاة وافصحن عن رفضهن للحجاب والانزواء في البيوت ، وعن رغبتهن في التعليم وميلهن الى المشاركة في الحياة السياسية وقد شاهد المريء نساء كثيرات سافرات يخرجن على الملأ ويلبسن وفق الازياء الحديثة ويعقدن المؤتمرات والاجتماعات وقد انشأت جمعية نسائية يتميز بعضها بأهداف خيرية يتميز بعضها الاخر بأهداف نسائية اكثر جمعية ترقية النساء (تعالى أي نسوان جمعيتي) التي اسستها خالده اديب عام ١٩٠٨ وهي متصلة بحركة النساء المطالبات بحق التصويت في انكلترا ومن جرائها نشأت لجنة الاتحاد والترقي في اسطنبول و سالونيك (شعب نسائية للاتحاد والترقي واكثرهن من الراديكال) وهي جمعية الدفاع عن حقوق النساء (مدافعة أي حقوق اي نسوان جمعيتي) التي تأسست في بداية حرب البلقان وشعارها المناداة بحرية الاقتصاد للمرأة لتولي مناصب في العمل العام أو في المشاريع،

عهد شهر أغسطس ١٩٠٨ ثورة تركيا الفتاة التي لعبت موجة من الاضطرابات تميزت بالاتساع والاستمرار لم تشهدها تركيا مسبقا ففي غداة ٢٤ يوليو ١٩٠٨ نظم العمال مسيرات وزعت خلالها منشورات وكانوا يلوحون برايات تحمل شعار حركة تركيا الفتاة (الحرية والمساواة والعدل والاخاء) وقد حذا العمال في ازمير حذو زملائهم في اسطنبول وسرعان ما انتشرت الثورة في المدن الصغيرة وقطاعات الحياة الاقتصادية وشملت المواصلات والمتجر والمصانع والمؤسسات التجارية للمطالبة برفع الاجور وتقليص اوقات العمل من ١٥ ساعة الى ٨ ساعات في اليوم واعطاء راحة اجبارية مرة في الاسبوع والاعتراف بالنقابات من جانب مدراء المشاريع وأنشاء مكتب للتفتيش عن احوال العمل.

وقد شهد منتصف سبتمبر توقف الاف العمال عن العمل وما لحقة من اضرار في الجانب الاقتصادي في وقت شهدت الدولة ضعف داخلي ادى الى انقسامات عرقية ودينية وشهد عام ١٩٠٩ انشأ الاتحاد العمالي الاشتراكي في سالونيك تحت هيبة عناصر يهودية وشهد سبتمبر ١٩١٠ تأسيس الحزب الاشتراكي العثماني في اسطنبول متأثراً بالفكر الاشتراكي ل (جان جوريس)، وقد اجتذبت تركيا الفتاة تدفق مناضلوها من اوربا ومصر والقوقاز والبلقان، كما وشهدت الافكار الجديدة (التجدد الاسلامي- الشعبية القومية- التضامنية- الاشتراكية) وظهور علوم جديدة كالسوسيولوجيا التي جرى انشأ كرسي لها في الجامعة عام ١٩١٢ وقد شهدت العاصمة اسطنبول من جديد العاصمة الفكرية للعالم الاسلامي وشهدت الحالة موجة للتغريب التي قام بها دعاة التغريب أمثال عبدالله جودت وهو كردي الاصل وكان احد مؤسسي حركة

تركيا الفتاة وبعد تخرجه من المدرسة الطبية العسكرية اخذ يمارس الطب وكان يكتب وينشر في مجلة (اجتهاد) في جنيف ثم في القاهرة ومن كتاباته (انه ليس هناك حضارة غير الحضارة الاوربية وانه لابد من الاخذ بها...).

وفي اواخر ١٩٠٨ تأسس المنتدى (القومي الاول) الذي ضم عدد من مثقفي أتراك روسيا الذي اصدر عام ١٩١١ مجلة اهتمت بتنقية اللغة التركية وفي العام نفسه اصدرت تركيا الفتاة مجلة (الاقلام الشابة) تبحث في مفرداتها عن لغة جديدة هي اللغة العربية والفارسية وقد استثارها الغليان الاجتماعي والفكري .

معارضة جماعة تركيا الفتاة

إجتمع في باريس في شهر فبراير ١٩٠٢ بعض المعارضين لسياسة عبد الحميد الثاني قدر عددهم خمسون نفر في مؤتمر الليبرالي العثماني الذي عرف باسم (المؤتمر الاول لجماعة تركيا الفتاة) وكان هؤلاء الليبراليين المجتمعين تجتمع في نفوسهم كراهية مشتركة للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، كانوا من الاتراك والعرب والالبان والاكراد والارمن وهم يمثلون صورة مصغرة لهيكل الامبراطورية العثمانية المتعددة الاعراق، وكان المؤتمر محلة اولى لتنظيم وتوحيد جماعة المعارضين الذين افلتوا من سلطة السلطان العثماني عبد الحميد ومن الرقابة والقمع التي ارتكبت بحق الارمن ولجأوا الى مصر والبلقان و اوربا.

وقد اعلن المؤتمرون في بيان مشترك مطالبين المساواة بين جميع مواطني الامبراطورية العثمانية واعادة العمل بستور ١٨٧٦ ، وكانت قد ولدت فكرة حركة تركيا الفتاة سنة ١٧٨٩ الذى المئوية للثورة الفرنسية.

كان عدد من طلاب كلية الطب العسكري في اسطنبول يشكلون جمعية سرية معارضة لنظام عبد الحميد تسمى (لجنة الاتحاد العثماني) وكانت الجماعة نفسها تتكون من خلايا على غرار الكاربوناري التي اسسها حارقوا الفحم عقب الوضع السياسي القمعي في ايطاليا سنة ١٨١٥ أو على غرار العدميين الروس ومن بين المنتخبين عرب مسيحيون والبان واكراد واتراك وهؤلاء المنتمين يمثلون قطاعين من قطاعات الدولة وكانوا متقدمين على الباقين كون هؤلاء الطلاب سوف يصبحون ضباط واطباء في المستقبل فهم قادرون على تحليل العلل السياسية في الدولة وايجاد العلاج للمشاكل الموجودة في الدولة.

كانت البدايات متواضعة وسوف تنتشر اللجنة في الامبراطورية واول ما تنتشر بين صفوف طلاب الدراسات العليا في العاصمة لاسيما في الاكاديمية الحربية ومدرسة الطب البيطري ومدرسة الادارة والاكاديمية البحرية كما وتكون ثانيا في صفوف الضباط العاملين في الجيش وفي صفوف العلماء كما وانتشرت حركة تركيا الفتاة في خارج الامبراطورية في اواسط المنفيين في مدن الولايات العثمانية البعيدة. وفي سنة ١٨٩٥ برز زعماء مثقفين للمعارضة في المنفى أمثال احمد رضا (١٨٥٩- ١٩٣٠) الذي شغل عدة مناصب منها منصب مدير التعليم العام في ولاية بورصا والذي رحل الى فرنسا سنة ١٨٨٩بسبب الاحباط الذي انتابه من الحكم العثماني ، و مراد ميزانجي (١٨٥٣- ١٩١٢) الذي ينحدر الى القوقاز وكان قد اجرى دراسته في روسيا قبل نزوحه الى تركيا وقد اشتغل استاذ في التاريخ في مدرسة الادارة

الملكية وقد اصدر صحيفة (ميزان) ثم رحل الى القاهرة بعد مضايقته سنة ١٨٩٥ وفي القاهرة استأنف في اصدار صحيفة (ميزان) وقد نشر فيها سلبيات العمل في الامبراطورية العثمانية وسلبيات الخليفة العثماني عبد الحميد

نشاط جماعة تركيا الفتاة

قام المنتمون الى تركيا الفتاة بالثورة في يوليو ١٩٠٨ من اجل انقاذ وحدة الامبراطورية المهددة وبمجرد دخولهم سارعوا الى الامساك بتقليد حكم الامبراطورية واصبح عليهم العمل على تطبيق شعار الحفاظ على وحدة الامبراطورية من خلال شعار (الاتحاد) وانهاء العمل والجماعات العرقية والدينية شبه المستقلة في حين كان مناخ الحرية قد افسح المجال أمام ظهور صحف تتبنى لغات الامبراطورية وتكاثر الاندية الثقافية والجمعيات ذات الاساس العرقي والديني وأما الاكراد فكان استيقاظهم قومي ولهم صحفهم التي تصدر باللغة الكردية.

وقد اتاح البرلمان للقوميات الادلاء بأصواتهم وانتخاب من يمثلهم ففي انتخابات ١٩٠٨ تم انتخاب ٦٠ عربيا و ٢٠٧ من الالبان و٢٦ يونانيا و ١٤ أرمني و١٠ سلافيين و٤ يهود وكان مثل هكذا برلمان يمثل هكذا اختلاط يلاحقه غياب الانسجام وسوف تجتمع الاقليات من النواب المنتمين الى حزب الاحرار ويتخذون موقف اكثر ليبرالي تجاه المشكلة القومية في لجنة الاتحاد والترقي وقد جرى الصدام بين الاكراد والارمن في الشرق وجرى تنقل جماعات اليونانية والبلغارية وبعد انقلاب ١٩٠٩ لعبت الاقليات دورا في المجازر التي وقعت في الدولة العثمانية لاسيما التي وقعت في اضنة وحدث تخوف شديد لدى الارمن

تدخل في اللجنة رجال يأتمرون بأوامر تركيا الفتاة وهم يحملون مناصب رئيسية في الحكومة التركية أمثال (جاويد بك) الذي اصبح وزيراً للمالية في يوليو ١٩٠٩ و(طلعت باشا) الذي اصبح ايضا وزيرا للداخلية وكانت تركيا الفتاة تتمتع بأغلبية كبيرة من النواب المجتمعين في حزب الاتحاد والترقي تحت هيمنة خليل منتيشى وكان المنتمون الى حركة تركيا الفتاة يهدفون الى الحفاظ على وحدة الامبراطورية وكان محمود شوكت مهتم بإصلاح الجيش وتأمين الدفاع عن الامبراطورية.

وكان من انشطت اعضاء اللجنة تجنب الاشارة الى الدكتور ناظم و عمر ناجي و مدحت شكرو ولم ينبثق زعيم على رأس الجميع قبل ١٩١٣ في حين كانت لجنة الاتحاد والترقي تنتمي الى المحفل الماسوني والخلية الثورية وكانت تركيا الفتاة تميل الى التكتم والسرية في فن التلاعب بالجماهير

وبموجب قانون الجمعيات الصادر في اغسطس ١٩٠٩ تم القضاء على الجماعات المسلمة في مقدونيا وارمينيا واجبار القوميات غير المسلمة بأداء الخدمة العسكرية الالزامية وقد سعت جمعية تركيا الفتاة على العمل لتوحيد البلاد عبر مراكز النظام التعليمي واجراء التفتيش على المدارس وفرض اللغة التركية في المدارس والمحاكم وقد اتبعت سياسة التتريك التي جعلت لها اعداء مطالبين بالاستقلال وكان العرب من القوميات التي عملت على تنظيم انفسهم للخروج من سيطرت الحكم التركي.

ـ المحاضرة الثالثة عشر

الموضوع/ ظهور الجمعيات والمنتديات في الدولة العثمانية

ظهرت حركة الاصلاح الوطني العربية في شتى اجزاء الوطن العربي بعد فشل التقارب بين العثمانيين وفكرة المؤاخاة والمساواة وقد تطورت تلك الحركات الى الرغبة في اقامة دولة عربية مستقلة ومن تلك الحركات التي ظهرت:-

أولا: الجمعيات العلمية والادبية

*** الجمعية السورية:**

اتفق ناصيف اليازجي و بطرس البستاني خلال السنوات الاولى من نشاطهما العلمي والتربوي على انشاء جمعية علمية في بيروت باسم جمعية الآداب والعلوم وهي تعد من اقدم الجمعيات العلمية في الوطن العربي الحديث وقد فتحت ابوابها عام ١٨٤٧ وانظم اليها عدد من الشبان المسيحيين وقد بلغ اعضاؤها بافل من عام خمسون عضواً وكانت تجتمع مرة واحدة كل اسبوعين يلقي فيها احد اعضاؤها بحثاً علمياً او سياسياً أو دينياً أو اجتماعيا واستمرت في العمل خمس سنوات وسبب عدم انتشارها يعود على اقتصارها على المسيحيين وحدهم وعدم وجود المبشرين الامريكان فيها وقد انفرط عقدها.

*** الجمعية العلمية السورية:**

نشأت عام ١٨٥٦ عندما اتفق ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ومعهما عدد من المسلمين المثقفين لتأسيس جمعية عربية لا يكون للمبشرين أي اثر فيها وكان عدد اعضاؤها في بداية الامر ١٥٠ مائة وخمسون عضواً من العرب ومختلف الطوائف الدينية، وكان من اعضاؤها البارزين محمد ارسلان، و ابراهيم اليازجي وقد ذاع صيتها خلال احداث ١٨٦٠ وقد اعترفت بها الدولة العثمانية رسميا عام ١٨٦٨ وفسح المجال للاشتراك فيها حتى ضمت اشخاص بارزين كانوا يقطنون خارج بلاد الشام في استانبول ومصر.

كان هدف الجمعية الاساسي هو العمل نحو تقدم البلاد على اساسين هما الوحدة الوطنية، والاعتزاز بالتراث العربي، وتعد الجمعية من بواكير الحركات السياسية التي لمحت الى الاستقلال والتخلص من الحكم العثماني وقد أظهرت في اول عمل لها تحريض العرب الى الثورة بقصيدة نظمها ابراهيم اليازجي مطلعها:-

تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ

الله اكبر ما هذا المنام فقد شكاكم المهد واشتاقتكم التربُ

فشمروا وانهضوا للأمر وابتدروا من دهركم فرصةٌ ضنت بها الحقبُ

كم تُظلمون ولستم تشتكون وكم تستغيضوا فلا يبدُ لكم غضبُ

اقداركم في عيون الترك نازلةٌ وحقكم بين ايدِي الترك مغتصبُ

فيا لقومي وما قومي سوى عربُ وان يضيعُ فيها ذلك النســـــــــبُ

***جمعية المقاصد الخيرية:**

نشأت في دمشق سنة ١٨٧٨ وتأسس لها فرع في بيروت وقد اهتمت بإنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية واهتم اعضاؤها بجمع مخطوطات الكتب العربية وطباعتها ونشرها لإظهار اهمية الحضارة العربية واهتمت بالتعليم المجاني لأبناء الفقراء كما وانشأت المستشفيات لأجل المعالجة والرعاية الصحية للعائلات المحتاجة.

ثانياً: الجمعيات السياسية:

برزت الجمعيات السياسية بشكل واضح بعد الانقلاب العثماني على الاتحاد والترقي نتيجة لتطبيق الدستور والحق الذي حصل عليه الناس بتأسيس الجمعيات ، الا ان الجمعيات التي سبقت هذا التاريخ كانت جميعها سرية ومن اهمها:-

- جمعية بيروت السرية:

شعر المسيحيون بأن حكم السلطان عبد الحميد لا يليق بهم وان الحكومة ليست حكومتهم مما جعلهم يسعون مجاهدين للانفصال عن الدولة العثمانية والحصول على الاستقلال، لذا قام عدد من المسيحيين بتأسيس جمعية بيروت السرية عام ١٨٧٥ وتنبه مؤسسوها بانه الابد من تحقيق الاهداف التي يصبون اليها في حصولهم على معونة من العرب المسلمين وصار من الضروري مواجهة الترك بجبهة واحدة لذا انظم عدد من المسلمين كأعضاء في الجمعية، وكانت الجمعية تنشر افكارها عن طريق المنشورات التي يلصقها اعضاء الجمعية في الشوارع ليلاً ليقرئها الناس نهاراً لذلك شددت الحكومة على اعضاء الجمعية فقبضت على بعض منهم وهرب البعض الاخر الى مصر، ومن اهم النقاط التي كانت الجمعية تطالب بها هي:-

١- منح الاستقلال لسوريا بالاتحاد مع لبنان.
٢- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية للبلاد.
٣- الغاء الرقابة وكل القيود المفروضة على حرية التعبير ونشر الثقافة.
٤- استخدام الوحدات المجندة من الاقاليم العربية محليا داخل حدود تلك الاقاليم.

كان تأثير هذه الجمعية مقصوراً على المدن الكبيرة، ولم يكن الناس على استعداد لتقبل الافكار الثورية وبذلك اعتبر النشاط سابقاً لأوانه لأنه يتطلب وعياً قومياً متقدماً، ومع هذا لم يكتب النجاح اهذه الحركة الا انها حددت الرغبات والاماني التي كانت تجيش في الصدور، ولهذا كانت خطوة الى الامام في طريق الحركة القومية وعبرت عن الاهداف السياسية فهي التي دعت الى الدولة الوطنية الحديثة والمستقلة سياسياً والقائمة على اساس قومي، وكان لهذه الجمعية تأثير في الافكار التي حملتها الجمعيات السرية والعلنية التي تأسست لاحقاً.

- رابطة الوطن العربي

وهو حزب سياسي اسسه نجيب عازوري وهو مسيحي من جبل لبنان وكان له قد تولى وظيفة وكالة متصرفية القدس ولكنه عزل من وظيفته بسبب اختلافه مع رئيسه فقام بجولة في مدن الشام ثم سافر الى باريس ثم عاد الى القاهرة حتى وفاته هناك عام ١٩١٦ .

إنظم الى حزب رابطة الوطن العربي بعض الاحرار المثقفين في باريس، وكان هدف الرابطة هو تحرير بلاد الشام والعراق من السيطرة العثمانية .

تأسس الحزب عام ١٩٠٤ وفي عام ١٩٠٥ نشر عازوري كتاباً بعنوان (يقظة الامة العربية أمام مصالح ومنافسات الدول الاجنبية) وتضمن الكتاب افكار عازوري مؤسس الرابطة ويمكن تلخيص افكاره بالاتي:-

انشاء دولتين : احدهما دوله دينية على غرار الفاتيكان على ان تكون دولة اسلامية مستقلة تقام في الحجاز وعاصمتها مكة ويحكمها خليفة، ودولة ثانية : دولة عربية علمانية تتمثل بسلطة دستورية تظم كل من سوريا ولبنان وفلسطين ويكون رئيسها احد افراد اسرة الخديوي ، وكان عازوري يعتقد أن فكرته ترضي جميع الطوائف، وقد اصدر عازوري مجلة شهرية اسماها (الاستقلال العربي) هدفها

تعريف الغرب بالقضية العربية لأنه كان يعتقد بأن الغرب قادر على مساعدة العرب في سبيل الحصول على استقلالهم.

كانت هذه الجمعية والجمعيات التي سبقتها مقدمة لاستقلال العرب والثورة العربية ضد الدولة العثمانية وكان هدفها الاستقلال والوحدة العربية.

المصادر

———

ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي الحديث

علي محمد محمد الصلابي، دولة المغول والتتار

عبد السلام ذنون كعود العلي، المغول واحتلال بغداد ٦٥٦هـ ١٢٥٨م

ابراهيم خليل احمد – تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر

عبد الرحيم مصطفى- اصول التاريخ العثماني

عبدالعزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها

عيد جاسم سليم- الاوضاع الإدارية في لواء الدليم

رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث

محمد عبدالله عوده- ابراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث

رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث

محمد عبدالله عوده- ابراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث

- جميل بيضون واخرون، تاريخ العرب الحديث

- نادية محمود مصطفى- العصر العثماني من القوة والهيمنة الى بداية المسألة الشرقية.

روبين مانتران، تاريخ الدولة العثمانية الجزء الثاني ، ترجمة بشير السباعي

جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد- من عهد مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩- ١٩١٧

الدكتور

عيد جاسم سليم